ابن كثير وجهوده في بيان الإسرائيليات في التفسير

(دراسة استقرائية من خلال تفسيره)

دكتور

محمود عباس محمود مجر

مدرس التفسير وعلوم القرآن

بكلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة

جامعة الأزهر

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين،والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، رحمة الله للعالمين

وبعد..

فقد أحببت أن أتشرف بالمشاركة في خدمة المكتبة القرآنية بهذا البحث الذي يبرز جهد علمائنا الكرام في المحافظة على تراثنا الإسلامي من الدخيل الذي يذهب ببهائه ، واخترت أحد المفسرين من أصحاب الشهرة الواسعة ، الذي قلما تخلو مكتبة أو بيت من تفسيره وهو الحافظ ابن كثير – رحمه الله – ، وقد قال السيوطي في ترجمة الحافظ ابن كثير: "له التفسير الذي لم يؤلف على نمطه مثله"[1] .

وقد امتاز هذا التفسير بأمور أهمها :

= سهولة العبارة وجزالتها، بأسلوب مختصر.

= يفسر القرآن بالقرآن، حتى يتبين المراد، وأحياناً يذكر الآيات المتشابهة، ويذكر القراءات، وأسباب النزول.

[1] طبقات الحفاظ صـ٥٤٣ – عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) – ط دار الكتب العلمية / بيروت – الأولى، ١٤٠٣.

= فإن لم يجد ما يفسره بالقرآن فسره بسنة النبي ﷺ، وينقل أقوال الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، ويذكر أقوال التابعين ومن تبعهم، وأحيانا ينقل عن الإمام الطبري رحمه الله.

= يذكر الروايات بأسانيدها في الغالب، ويحكم على الروايات في الغالب، فإن كانت ضعيفة بيّن علتها، وربما سكت عن بعض الروايات فلم يذكر لها حكماً.

= ثم إنه في آيات الصفات سلك مسلك الحق والصواب على طريقة سلف الأمة من غير تحريف ولا تأويل ولا تشبيه ولا تعطيل.

= ومن أبرز ما يميز ابن كثير في تفسيره تعامله مع الإسرائيليات ، وهذا ما سيفصله البحث إن شاء الله .

وقد حاولت ما استعطت جمع جهده –رحمه الله – في بيان الإسرائيليات في التفسير التي نص هو عليها، وتقسيم ما جمعته تحت عناوين مبيّنة مع تعليقات بسيطة، فجاء البحث كالتالي:

العنوان

ابن كثير وجهوده في بيان الإسرائيليات في التفسير

(دراسة استقرائية من خلال تفسيره)

ويشتمل على سبعة مباحث

١- ترجمة موجزة لابن كثير .

٢- تعريف الإسرائيليات .

٣- تقسيم ابن كثير للإسرائيليات .

٤- إسرائيليات ذكرها ابن كثير في تفسيره ورَدّ عليها بالمنقول والمعقول

٥- إسرائيليات ذكرها ابن كثير في تفسيره ونبَّه على نكارتها وغرابتها.

٦- إسرائيليات ذكرها ابن كثير في تفسيره وتوقّف في تصديقها أو تكذيبها .

٧- إسرائيليات أشار إليها ابن كثير إجمالا ولم يُسَوّد بها تفسيره .

وقد جاء هذا البحث وفاءً لعلمائنا الأفاضل، واعترافًا بما بذلوه من جهود مباركة في خدمة الكتاب الكريم والسنة النبوية في زمن تطاول فيه السفهاء ومَن لا خلاق لهم على علماء الإسلام، واتهموهم – زورًا وبهتانًا – بخلو عصورهم ومؤلفاتهم من العين الناقدة التي بها يميزون الغث من السمين ، فجاءت هذه الصفحات لتلقي الضوء على أدلة ناصعة وحجج دامغة تُزهق هذا الباطل من القول .

فالله أسأل السداد والقبول، إنه خير مسؤول وأكرم مأمول

كتبه

الدكتور / محمود عباس مجر

مدرس التفسير وعلوم القرآن

بكلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة

المبحث الأول

ترجمة موجزة لابن كثير [١]

اسمه:

هو الإمام الحافظ المؤرخ الفقيه المفسر أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير القرشي البُصروي – نسبةً إلى بُصرى– ثم الدمشقي؛ لأنه انتقل إليها بعد ذلك في صغره.

مولده ونشأته:

ولد بقرية من أعمال بُصرى من أرض الشام ، وذلك سنة إحدى وسبعمائة للهجرة ، وكان أبوه خطيبًا ، مات وهو في الرابعة من عمره[٢]، فرباه أخوه

---

[١] انظر ترجمته في : ذيل تذكرة الحفاظ صـ٣٨ – أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن بن حمزة الحسيني– ط دار الكتب العلمية – الأولى ١٩٩٨م ، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ٤٤٥/١ – أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني – ط مجلس دائرة المعارف العثمانية الهند – الثانية ١٩٧٢م ، والأعلام ٣٢٠/١ – خير الدين الزركلي – ط دار العلم للملايين – الخامسة عشر ٢٠٠٢ م ، وتفسير القرآن العظيم١/ ١٢ وما بعدها– تحقيق : سامي بن محمد سلامة– ط دار طيبة للنشر والتوزيع – الثانية ١٤٢٠هـ .

[٢] قال ابن حجر : "ولد سنة سَبْعمِائة أَو بعْدهَا بِيَسِير وَمَات أَبوهُ سنة ٧٠٣" انظر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنةلابن حجر ٤٤٥/١ .

الشيخ عبد الوهاب، وعلمه في مبدأ أمره، وانتقل معه إلى دمشق الشام سنة ستٍ وسبعمائة في الخامسة من عمره ، وعنه يقول الحافظ ابن كثير: "وقد كان لنا شقيقا، وبنا رفيقًا شفوقًا، وقد تأخرت وفاته إلى سنة (٧٥٠ ه) فاشتغلت على يديه في العلم فيسر الله منه ما تيسر وسهل منه ما تعسر"[١] .

شيوخه:

تلقى الحافظ ابن كثير العلم على يد ثلة من علماء عصره مِمَن له باع وقدم راسخة في العلم مثل:

- شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن تيمية-رحمه الله[٢] -
- الحافظ أبو الحجاج يوسف المزي -رحمه الله[٣]-
- الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي -رحمه الله -
- الشيخ أبو العباس أحمد الحجار الشهير بـ "ابن الشحنة" -رحمه الله -
- الشيخ أبو إسحاق إبراهيم الفزاري -رحمه الله -

---

[١] البداية والنهاية ٤٢/١٨ – أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (المتوفى: ٧٧٤هـ) – تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي – ط دار هجر – الأولى، ١٤١٨ هـ.

[٢] صحب ابن كثير الشيخ تقي الدين ابن تيمية ، وكانت له به خصوصية ، وكان يفتي برأيه في مسألة الطلاق ، وامتحن بسبب ذلك وأوذي.

[٣] صاهر ابن كثير الحافظ أبا الحجاج المزي ، فتزوج ابنته زينب ، ولازمه ، وأخذ عنه.

- الحافظ كمال الدين عبد الوهاب الشهير بـ "ابن قاضي شهبة" – رحمه الله –
- الإمام كمال الدين أبو المعالي محمد بن الزملكاني –رحمه الله –
- الإمام محيي الدين أبو زكريا يحيى الشيباني –رحمه الله –
- الإمام علم الدين محمد القاسم البرزالي –رحمه الله –
- الشيخ شمس الدين أبو نصر محمد الشيرازي –رحمه الله –
- الشيخ شمس الدين محمود الأصبهاني –رحمه الله –
- الشيخ عفيف الدين إسحاق بن يحيى الآمدي الأصبهاني –رحمه الله –
- الشيخ بهاء الدين القاسم بن عساكر –رحمه الله –

تلاميذه :

أخذ العلم عن الحافظ ابن كثير – رحمه الله – خلق كثير ، برع منهم كوكبة فكانوا من أبرز علماء عصرهم مثل :

- الحافظ علاء الدين بن حجي الشافعي–رحمه الله –
- محمد بن محمد بن خضر القرشي–رحمه الله –
- شرف الدين مسعود الأنطاكي النحوي–رحمه الله –

- محمد بن أبي محمد بن الجزري، شيخ علم القراءات-رحمه الله -
- ابنه محمد بن إسماعيل بن كثير-رحمه الله -
- الإمام ابن أبي العز الحنفي-رحمه الله -
- الحافظ أبو المحاسن الحسَيني-رحمه الله -

مؤلفاته:

صنَّف ابن كثير -رحمه الله - عدداً كبيراً من المصنَّفات في التاريخ والحديث والتفسير والسيرة ، من أجلِّها التفسير، وله كتاب كبير معروف في التاريخ وهو المسمى بكتاب: "البداية والنهاية" ، وطبقات الفقهاء ، ومناقب الشافعي ، واختصار علوم الحديث ، والتكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل ، وغيرها من المؤلفات النافعة مثل :

- السيرة النبوية .
- قصص الأنبياء .
- تحفة الطالب بمعرفة أحاديث مختصر ابن الحاجب .
- النهاية في الفتن والملاحم .
- مسند الفاروق .

• الباعث الحثيث إلى اختصار علوم الحديث .

• جامع المسانيد والسنن .

• فضائل القرآن .

وفاته :

كانت وفاة الحافظ ابن كثير – بعد ما عمي بصره – بدمشق سنة أربعٍ وسبعين وسبعمائة ، فخرجت دمشق كلها خلف جنازته، و دفن إلى جوار شيخه شيخ الإسلام ابن تيميَّة بمقبرة الصوفية ، فرحمة الله على مَن أناروا للخلق طريقهم إلى الحق .

المبحث الثاني

تعريف الإسرائيليات

الإسرائيليات: جمع إسرائيلية، نسبة إلى بني إسرائيل، وبنو إسرائيل هم: أبناء يعقوب ومَن تناسلوا منهم فيما بعد إلى عهد موسى ومَن جاء بعده من الأنبياء حتى عهد عيسى عليه السلام وحتى عهد نبينا محمد ﷺ وقد عرفوا "باليهود"[١].

ومن التوراة وشروحها، والأسفار وما اشتملت عليه، والتلمود وشروحه، والأساطير والخرافات، والأباطيل التي افتروها، أو تناقلوها عن غيرهم: كانت معارف اليهود وثقافتهم، وهذه كلها كانت المنابع الأصلية للإسرائيليات التي زخرت بها بعض كتب التفسير، والتاريخ والقصص والمواعظ، وهذه المنابع إن كان فيها حق، ففيها باطل كثير، وإن كان فيها صدق، ففيها كذب صراح، وإن كان فيها سمين، ففيها غث كثير، فمن ثَمّ انجر ذلك إلى الإسرائيليات[٢].

وقد يتوسع بعض الباحثين في الإسرائيليات، فيجعلها شاملة لما كان من معارف اليهود، وما كان من معارف النصارى التي تدور حول الأناجيل وشروحها، والرسل وسِيَرهم ونحو ذلك؛ وإنما سميت إسرائيليات من باب التغليب

---

[١] انظر : الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير صـ١٢ – محمد بن محمد أبو شُهبة – ط مكتبة السنة – الرابعة .

[٢] المصدر السابق صـ١٣ .

للجانب اليهودى على الجانب النصرانى، فإن الجانب اليهودى هو الذى اشتهر أمره فكثر النقل عنه، وذلك لكثرة أهله، وظهور أمرهم، وشدة اختلاطهم بالمسلمين من مبدأ ظهور الإسلام[١].

وتنقسم الأخبار الإسرائيلية إلى أقسام ثلاثة[٢] :

القسم الأول: ما يُعلم صحته بأن نُقِل عن النبى ﷺ نقلاً صحيحاً، أو كان له شاهد من الشرع يؤيده. وهذا القسم صحيح مقبول.

مثاله: ما رواه البخاري ومسلم عن ابن مسعود ﷺ قال: جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّا نَجِدُ: أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلاَئِقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ أَنَا المَلِكُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى

---

[١] انظر : التفسير والمفسرون ١٢١/١ – الدكتور محمد حسين الذهبي – ط مكتبة وهبة بالقاهرة ، ومباحث في علوم القرآن صـ٣٦٥ – مناع بن خليل القطان – ط مكتبة المعارف – الثالثة ٢٠٠٠م .

[٢] هذا التقسيم للإسرائيليات باعتبار القبول والرد أو باعتبار موافقتها لما في شريعتنا ومخالفته له ، وللإسرائيليات أقسام باعتبارات أخرى مثل :
تقسيمها باعتبار الصحة أو عدمها إلى : صحيح – وضعيف (ومن الضعيف: الموضوع).
تقسيمها باعتبار موضوع الخبر الإسرائيلي إلى : ما يتعلق بالعقائد – ما يتعلق بالأحكام – ما يتعلق بالقصص والمواعظ [انظر : الإسرائيليات في التفسير والحديث صـ٣٥ وما بعدها – د. محمد حسين الذهبي – ط مكتبة وهبة] .

بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﷻ عَمَّا يُشْرِكُونَ} (الزمر: ٦٧) (١).

ومن أمثلته أيضًا : ما رواه البخاري عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ العَاصِ ﷺ، قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي التَّوْرَاةِ؟ قَالَ: " أَجَلْ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي القُرْآنِ: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا} [الأحزاب: ٤٥] ، وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ المتَوَكِّلَ لَيْسَ بِفَظٍّ وَلاَ غَلِيظٍ، وَلاَ سَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ، وَلاَ يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ المِلَّةَ العَوْجَاءَ، بِأَنْ يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا(٢) "(٣) .

---

(١) أخرجه البخاري ١٢٦/٦ كتب التفسير– باب قوله: (وما قدروا الله حق قدره) حديث رقم (٤٨١١) واللفظ له ، ومسلم ٢١٤٨/٤ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم – باب صفة القيامة والجنة والنار حديث رقم (٢٧٨٦).

(٢) [الشرح : (أجل) حرف جواب مثل نعم. (شاهدا) لأمتك بتصديقهم وعلى الكافرين بتكذيبهم. (مبشرا) للمؤمنين. (نذيرا) للكافرين (حرزا للأميين) حصنا للعرب. (المتوكل) المعتمد على الله تعالى. (بفظ) سيء الخلق. (غليظ) شديد في القول. (سخاب) يرفع صوته على الناس. (يقيم الملة العوجاء) ينفي الشرك ويثبت التوحيد. (عميا) لا تبصر الحق. (صما) لا تسمع دعوة الخير. (غلفا) غطتها ظلمة الشرك] .

(٣) أخرجه البخاري ٦٦/٣ كتاب البيوع – باب كراهية السخب في السوق حديث رقم (٢١٢٥) .

ومن أمثلته أيضا ما جاء في الخضر وسر تسميته بذلك ، فقد روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّمَا سُمِّيَ الخَضِرَ أَنَّهُ جَلَسَ عَلَى فَرْوَةٍ بَيْضَاءَ[١]، فَإِذَا هِيَ تَهْتَزُّ مِنْ خَلْفِهِ خَضْرَاءَ»[٢] .

ومن أمثلة الإسرائيليات الصحيحة المقبولة في غير التفسير ما رواه أحمد عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ يَهُودِيَّةً كَانَتْ تَخْدُمُهَا، فَلَا تَصْنَعُ عَائِشَةُ إِلَيْهَا شَيْئًا مِنَ الْمَعْرُوفِ، إِلَّا قَالَتْ لَهَا الْيَهُودِيَّةُ: وَقَاكِ اللهُ عَذَابَ الْقَبْرِ، قَالَتْ: فَدَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَيَّ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ لِلْقَبْرِ عَذَابٌ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: " لَا، وَعَمَّ ذَاكَ؟ " قَالَتْ: هَذِهِ الْيَهُودِيَّةُ لَا نَصْنَعُ إِلَيْهَا مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، إِلَّا قَالَتْ: وَقَاكِ اللهُ عَذَابَ الْقَبْرِ، قَالَ: " كَذَبَتْ يَهُودُ ، وَهُمْ عَلَى اللهِ ﷻ أَكْذَبُ ، لَا عَذَابَ دُونَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ "، قَالَتْ: ثُمَّ مَكَثَ بَعْدَ ذَاكَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَمْكُثَ، فَخَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ نِصْفَ النَّهَارِ مُشْتَمِلًا بِثَوْبِهِ، مُحْمَرَّةً عَيْنَاهُ، وَهُوَ يُنَادِي بِأَعْلَى صَوْتِهِ: " أَيُّهَا النَّاسُ، أَظَلَّتْكُمُ الْفِتَنُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، أَيُّهَا النَّاسُ، لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ بَكَيْتُمْ

---

[١] الشرح : (فروة) هي قشرة وجه الأرض. (بيضاء) يابسة ليس فيها نبت. (خضراء) لما نبت فيها من عشب أخضر .

[٢] أخرجه البخاري ١٥٦/٤ كتاب أحاديث الأنبياء – باب حديث الخضر مع موسى ﷺ حديث رقم (٣٤٠٢) .

كَثِيرًا وَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، أَيُّهَا النَّاسُ، اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، فَإِنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ حَقٌّ "[١] .

القسم الثانى: ما يُعلم كذبه بأن يُناقض ما عرفناه من شرعنا، أو كان لا يتفق مع العقل، وهذا القسم لا يصح قبوله ولا روايته.

مثاله: ما رواه البخاري ومسلم عن جابر ﷺ قال: كَانَتِ اليَهُودُ تَقُولُ: إِذَا جَامَعَهَا مِنْ وَرَائِهَا جَاءَ الوَلَدُ أَحْوَلَ، فَنَزَلَتْ: (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ) (البقرة: الآية ٢٢٣)[٢].

ومن أمثلة الإسرائيليات المردودة في غير التفسير ما رواه ابو داوود عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَجُلًا، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي جَارِيَةً وَأَنَا أَعْزِلُ عَنْهَا وَأَنَا أَكْرَهُ أَنْ تَحْمِلَ، وَأَنَا أُرِيدُ مَا يُرِيدُ الرِّجَالُ، وَإِنَّ الْيَهُودَ تُحَدِّثُ أَنَّ الْعَزْلَ مَوْءُودَةُ الصُّغْرَى قَالَ: «كَذَبَتْ يَهُودُ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَخْلُقَهُ مَا اسْتَطَعْتَ أَنْ تَصْرِفَهُ»[٣] .

---

[١] أخرجه أحمد ٦٦/٤١ مسند الصديقة عائشة بنت الصديق ﷺ حديث رقم (٢٤٥٢٠) وقال المحقق : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

[٢] أخرجه البخاري ٢٩/٦ كتاب التفسير- باب (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم) حديث رقم (٤٥٢٨) ، ومسلم ١٠٥٨/٢ كتاب النكاح – باب جواز جماعة امرأته في قبلها من قدامها أو من ورائها من غير تعرض للدبر حديث رقم (١٤٣٥) .

[٣] سنن ابي داوود ٢٥٢/٢ كتاب النكاح – باب ما جاء في العزل حديث رقم (٢١٧١) وصححه الألباني.

ويدخل في هذا القسم ما ذكروه في قصص الأنبياء من أخبار تطعن في عصمة الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – كما سيأتي في البحث.

ولعل هذا القسم هو المراد بما رواه البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ﷺ، قَالَ: " يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ، كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الكِتَابِ، وَكِتَابُكُمُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ أَحْدَثُ الأَخْبَارِ بِاللَّهِ، تَقْرَءُونَهُ لَمْ يُشَبْ، وَقَدْ حَدَّثَكُمُ اللَّهُ أَنَّ أَهْلَ الكِتَابِ بَدَّلُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ وَغَيَّرُوا بِأَيْدِيهِمُ الكِتَابَ، فَقَالُوا: هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا، أَفَلاَ يَنْهَاكُمْ مَا جَاءَكُمْ مِنَ العِلْمِ عَنْ مُسَاءَلَتِهِمْ، وَلاَ وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا مِنْهُمْ رَجُلًا قَطُّ يَسْأَلُكُمْ عَنِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ "[1] .

القسم الثالث: ما هو مسكوت عنه، لا هو من قبيل الأول، ولا هو من قبيل الثانى، وهذا القسم نتوقف فيه، فلا نؤمن به ولا نُكذِّبه، وتجوز حكايته، لما رواه البخاري عن أبي هريرة – ﷺ – قال : كَانَ أَهْلُ الكِتَابِ يَقْرَءُونَ التَّوْرَاةَ بِالعِبْرَانِيَّةِ، وَيُفَسِّرُونَهَا بِالعَرَبِيَّةِ لِأَهْلِ الإِسْلاَمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " لا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الكِتَابِ وَلا تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا: {آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا} [البقرة: ١٣٦] الآية"[2].

---

[1] أخرجه البخاري ١٨١/٣ كتاب الشهادات – باب لا يسأل أهل الشرك عن الشهادة وغيرها حديث رقم (٢٦٨٥) .

[2] أخرجه البخاري ٢٠/٦ كتاب التفسير – باب ١١: (قولو آمنا بالله وما أنزل إلينا) حديث رقم (٤٤٨٥).

وأمثلته كثيرة عامتها تفاصيل تتعلق بقصص القرآن الكريم عن السابقين من الأنبياء وغيرهم مما لا يسعنا التصديق به ولا تكذيبه بالدليل .

وهذا القسم غالبه مما ليس فيه فائدة تعود إلى أمر دينى، ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب فى مثل هذا اختلافاً كثيراً، ويأتى عن المفسِّرين خلاف بسبب ذلك[١].

والتقسيم السابق للإسرائيليات هو نفسه ما ذكره ابن كثير في مقدمته كما يلي :

[١] انظر : التفسير والمفسرون للذهبي ١/١٣٠ ، وأصول في التفسير صـ٥٣ – محمد بن صالح العثيمين – ط المكتبة الإسلامية – الأولى ٢٠٠١م .

المبحث الثالث

تقسيم ابن كثير للإسرائيليات

قال ابن كثير في مقدمة تفسيره – بعد أن ذكر حديثَ (بلّغُوا عنّي وَلَوْ آيَةً، وحدّثوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فليتبوأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ)[1]–:

"وَلَكِنَّ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ الْإِسْرَائِيلِيَّةَ تُذكر لِلِاسْتِشْهَادِ، لَا لِلِاعْتِضَادِ. فَإِنَّهَا عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

أَحَدُهَا: مَا علمنا صحتَه مما بأيدينا مما نشهدُ لَهُ بِالصِّدْقِ، فَذَاكَ صَحِيحٌ.

وَالثَّانِي: مَا عَلِمْنَا كذبَه بِمَا عِنْدَنَا مِمَّا يُخَالِفُهُ.

وَالثَّالِثُ: مَا هُوَ مَسْكُوتٌ عَنْهُ، لَا مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ وَلَا مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ، فَلَا نؤمِنُ بِهِ وَلَا نُكَذِّبُهُ، وتجوزُ حكايتُه لِمَا تَقَدَّمَ. وغالبُ ذَلِكَ مِمَّا لَا فَائِدَةَ فِيهِ تعودُ إِلَى أمرٍ دِينِيٍّ، وَلِهَذَا يَخْتَلِفُ عُلَمَاءُ أَهْلِ الْكِتَابِ في مثل هَذَا كَثِيرًا، وَيَأْتِي عَنِ الْمُفَسِّرِينَ خلافٌ بِسَبَبِ ذلك، كما يَذكرون في مثل أَسْمَاءَ أَصْحَابِ الْكَهْفِ وَلَوْنَ كَلْبِهِمْ وعِدّتهم، وَعَصَا موسى من أيِّ شجر كَانَتْ؟ وَأَسْمَاءَ الطُّيُورِ الَّتِي أَحْيَاهَا اللَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ، وَتَعْيِينَ الْبَعْضِ الَّذِي ضُرِبَ بِهِ القتيلُ مِنَ الْبَقَرَةِ، وَنَوْعَ

[1] أخرجه البخاري ١٧٠/٤ كتاب أحاديث الأنبياء – باب: ما ذكر عن بني إسرائيل، حديث رقم (٣٤٦١) من حديث عبد الله بن عمرو.

الشَّجَرَةِ الَّتِي كلَّم اللَّهُ مِنْهَا مُوسَى إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا أَبْهَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ، مِمَّا لَا فَائِدَةَ فِي تَعْيِينِهِ تَعُودُ عَلَى الْمُكَلَّفِينَ فِي دُنْيَاهُمْ وَلَا دِينِهِمْ. وَلَكِنَّ نقلُ الْخِلَافِ عَنْهُمْ فِي ذَلِكَ جَائِزٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ} إلى آخر الآية [الكهف: ٢٢]" [١] .

وهذا الذي اعتمده ابن كثير في تقسيم الإسرائيليات ليس من كلامه ، ولكن نقله بنصه عن شيخه ابن تيمية[٢] وإن لم يصرح ابن كثير بذلك.

ولم يذكر ابن تيمية ولا ابن كثير أمثلة إلا للقسم الثالث المسكوت عنه ، أما القسمان الأولان فلم يذكرا لهما أمثلة ، وقد مثلت لهما في المبحث السابق فارجع إليه إن شئت يا رعاك الله .

ويُعدّ من نافلة القول أن هذا البحث سيقتصر على إبراز جهود ابن كثير في بيان القسمين الثاني والثالث من أقسام الإسرائيليات فهما محل التوقف أو الرد ، ومن ثَمّ فهما يحتاجان إلى التنبيه حتى لا يتلاقهما الناس بالقبول ، أما القسم الأول فهو مقبول ولا يحتاج إلى تنبيه .

---

[١] تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٩/١ .

[٢] انظر : مقدمة في أصول التفسير صـ٤٢و٤٣ – تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية – ط دار مكتبة الحياة/ بيروت – ١٩٨٠م .

المبحث الرابع

إسرائيليات ذكرها ابن كثير في تفسيره ورَدّ عليها بالمنقول والمعقول

الموضع الأول : قوله تعالى [إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (٨٤)] الكهف

قال ابن كثير – رحمه الله – :

"وَقَالَ ابْنُ لَهيعة: حَدَّثَنِي سَالِمُ بْنُ غَيْلان، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ؛ أَنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ[١] قَالَ لِكَعْبِ الْأَحْبَارِ[٢]: أَنْتَ تَقُولُ: إِنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ كَانَ

---

[١] معاوية بن صخر بن حرب بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشيّ الأمويّ المعروف بمعاوية بن أبي سفيان كنيته أبو عبد الرحمن، هو أحد أبناء أبو سفيان بن حرب وأول خلفاء الدولة الأموية ، ولد معاوية بمكة قبل الهجرة بخمس عشرة سنة ، وأسلم يوم فتح مكة ، وشهد غزوة حنين ، وكان أحد الكتاب لرسول الله ﷺ، روي له عن النبي ﷺ مائة حديث وثلاث وستون حديثاً ، توفّي في دمشق عن ٧٨ سنة بعدما عهد بالأمر إلى ابنه يزيد بن معاوية ، وكانت وفاته في رجب سنة ٦٠ ه [انظر : أسد الغابة ٤٣٣/٤ – أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني الجزري عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ه٦٣٠) – ط دار الفكر بيروت / ه١٤٠٩ ، والاستيعاب في معرفة الأصحاب ١٤١٦/٣ – أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر (المتوفى: ه٤٦٣)– المحقق: علي محمد البجاوي – ط دار الجيل بيروت – الأولى/ ١٤١٢ هـ، وسير أعلام النبلاء ١١٩/٣ – شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (المتوفى : ه٧٤٨)المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط – ط مؤسسة الرسالة– الثالثة / ١٤٠٥ ه].

[٢] كعب الأحبار هو كعب بن ماتع الحميري أبو إسحاق ، أدرك الجاهلية وأسلم في أيام أبي بكر وقيل : في أيام عمر ، روى عن عمر وصهيب وعائشة ، وروى عنه بعض

يَرْبُطُ خَيْلَهُ بِالثُّرَيَّا[١]؟ فَقَالَ لَهُ كَعْبٌ: إِنْ كُنْتُ قُلْتُ ذَلِكَ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: {وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا} [الكهف: ٨٤].

وَهَذَا الَّذِي أَنْكَرَهُ مُعَاوِيَةُ -رضي الله عنه- عَلَى كَعْبِ الْأَحْبَارِ هُوَ الصَّوَابُ ، وَالْحَقُّ مَعَ مُعَاوِيَةَ فِي الْإِنْكَارِ؛ فَإِنَّ مُعَاوِيَةَ كَانَ يَقُولُ عَنْ كَعْبٍ: "إِنْ كُنَّا لَنَبْلُو عَلَيْهِ

الصحابة كمعاوية وأبي هريرة وابن عباس ومالك بن أبي عامر الأصبحي ، وذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من تابعي أهل الشام وقال : " كان على دين يهود فأسلم وقدم المدينة ثم خرج إلى الشام فسكن حمص حتى توفي بها سنة ثنتين وثلاثين في خلافة عثمان " [انظر : الطبقات الكبرى ٣٠٩/٧ – أبو عبد الله محمد بن سعد بن سعد البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ه٢٣٠) – تحقيق: محمد عبد القادر عطا – ط دار الكتب العلمية بيروت / الأولى ١٤١٠ ه ، وتهذيب التهذيب ٤٣٨/٨وما بعدها – أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (المتوفى: ه٨٥٢) – ط مطبعة دائرة المعارف النظامية الهند / الأولى ه١٣٢٦] .

[١] الثُّريّا : نجم في السماء كانت العرب تعرفه وتذكره في أشعارها ، وقد روى ابن أبي حاتم عَنْ سَعِيدُ بْنُ أَبِي هلال -رضي الله عنه-، إِنَّ مَعَاوِية بن أَبِي سفيان قَالَ لكعب الأحبار: تقول إِنَّ ذا القرنين كَانَ يربط خيله بالثنايا؟ قَالَ لَهُ كَعْبٍ -رضي الله عنه-: إِنَّ كنت قلت ذاك فإن الله قَالَ {وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلّ شَيْءٍ سَبَبًا} ، وتابعه السيوطي في الدر على هذا اللفظ (بالثنايا) .

في حين أن مكي ابن أبي طالب ذكر رواية الثريا مرفوعة فقال : "وروى ابن وهب أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: " كان يعلق سلاحه بقرن الثريا، وكان له حمار يضع حافره منتهى بصره ، وروي أنه كان يربط ارسَان خيله بقرون الثريا" [انظر : تفسير ابن أبي حاتم ٢٣٨٣/٧ – تحقيق: أسعد محمد الطيب – ط مكتبة نزار مصطفى الباز – الثالثة ١٤١٩ ه ، والدر المنثور في التفسير بالمأثور ٤٥٠/٥ – جلال الدين السيوطي – ط دار الفكر ، والهداية إلى بلوغ النهاية ٤٤٤٨/٦ – مكي بن أبي طالب – ط جامعة الشارقة – الأولى ٢٠٠٨م] .

الْكَذِبَ"[١] يَعْنِي: فِيمَا يَنْقُلُهُ، لَا أَنَّهُ كَانَ يَتَعَمَّدُ نَقْلَ مَا لَيْسَ فِي صَحِيفَتِهِ ، وَلَكِنَّ الشَّأْنَ فِي صَحِيفَتِهِ أَنَّهَا مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ الَّتِي غَالِبُهَا مُبَدَّلٌ مُصَحَّفٌ مُحَرَّفٌ مُخْتَلَقٌ وَلَا حَاجَةَ لَنَا مَعَ خَبَرِ اللَّهِ وَرَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- إِلَى شَيْءٍ مِنْهَا بِالْكُلِّيَّةِ، فَإِنَّهُ دَخَلَ مِنْهَا عَلَى النَّاسِ شَرٌّ كَثِيرٌ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ. وَتَأْوِيلُ كَعْبٍ قَوْلَ اللَّهِ: {وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا} وَاسْتِشْهَادُهُ فِي ذَلِكَ عَلَى مَا يَجِدُهُ فِي صَحِيفَتِهِ مِنْ أَنَّهُ كَانَ يَرْبُطُ خَيْلَهُ بِالثُّرَيَّا غَيْرُ صَحِيحٍ وَلَا مُطَابِقٍ؛ فَإِنَّهُ لَا سَبِيلَ لِلْبَشَرِ إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَلَا إِلَى التَّرَقِّي في أسباب السموات. وَقَدْ قَالَ اللَّهُ فِي حَقِّ بِلْقِيسَ: {وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ} [النَّمْلِ: ٢٣] أَيْ: مِمَّا يُؤْتَى مِثْلُهَا مِنَ الْمُلُوكِ، وَهَكَذَا ذُو الْقَرْنَيْنِ يَسَّرَ اللَّهُ لَهُ الْأَسْبَابَ، أَيْ: الطُّرُقَ وَالْوَسَائِلَ إِلَى فَتْحِ الْأَقَالِيمِ

---

[١] أخرجه البخاري ١١٠/٩ – كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة – باب باب قول النبي ﷺ: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء» حديث رقم (٧٣٦١) وقال ابن حجر في الفتح : "قال ابن حبان في الثقات: أراد معاوية أنه يخطئ أحيانا فيما يخبر به ولم يرد أنه كان كذابا ، وقال غيره : الضمير في قوله (لنبلو عليه) للكتاب لا لكعب وإنما يقع في كتابهم الكذب لكونهم بدلوه وحرفوه ، وقال عياض : يصح عوده على الكتاب ويصح عوده على كعب وعلى حديثه وإن لم يقصد الكذب ويتعمده إذ لا يشترط في مسمى الكذب التعمد بل هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه وليس فيه تجريح لكعب بالكذب ، وقال بن الجوزي : المعنى أن بعض الذي يخبر به كعب عن أهل الكتاب يكون كذبا لا أنه يتعمد الكذب وإلا فقد كان كعب من أخيار" [فتح الباري ٣٣٤/١٣ – أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي – ط دار المعرفة بيروت/ ١٣٧٩هـ] .

والرَّسَاتيق[١] وَالْبِلَادِ وَالْأَرَاضِي وَكَسْرِ الْأَعْدَاءِ، وَكَبْتِ مُلُوكِ الْأَرْضِ، وَإِذْلَالِ أَهْلِ الشِّرْكِ. قَدْ أُوتِيَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِثْلُهُ سَبَبًا، وَاللَّهَ أَعْلَمُ"[٢].

التعليق :

يحكي ابن كثير هنا نقاشًا علميًا بين : معاوية بن أبي سفيان وكعب الأحبار – ﷺ – فمعاوية يُنكر ما يقوله كعب في بيان ما أجمله القرآن من أسباب القوة والتمكين التي أعطاها الله لذي القرنين مما لم يأت به دليل صحيح ولا يصدقه عقل ، فإذا بكعب يستشهد بعموم ما جاء به قوله تعالى {وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا} وهنا يأتي تأييد ابن كثير لمعاوية في إنكاره على كعب ، ويوضح – ﷺ – أن عموم اللفظ في الآية الكريمة مخصوص بما يستطيعه البشر ويقبله العقل ، ويقيس الآية الواردة في حق ذي القرنين بأختها الواردة في حق بلقيس {وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ} .

ولله درّ ابن كثير حيث نبّه أيضا على ما في صحيفة كعب من شر كثير وفساد عريض أغنانا عنه ما في كتاب ربنا وسنة نبينا – ﷺ– ، وقد أوضح ابن كثير – ﷺ – موقف كعب الأحبار من الإسرائيليات فقال :

---

[١] الرَّساتيق : جمع رُستاق كقُرطاس فارس معرب ومعناه البيوت المجتمعة [انظر : لسان العرب ١١٦/١٠ باب القاف – فصل الراء] .

[٢] تفسير ابن كثير ١٩٠/٥ .

"وهذا كعب الأحبار من أجود من ينقل عنهم وقد أسلم في زمن عمر، وكان ينقل شيئا عن أهل الكتاب فكان عمر ﷺ يستحس بعض ما ينقله لما يصدقه من الحق وتأليفا لقلبه ، فتوسع كثير من الناس في أخذ ما عنده ، وبالغ أيضا هو في نقل تلك الأشياء التي كثير منها ما يساوي مداده ، ومنها ما هو باطل لا محالة ، ومنها ما هو صحيح لما يشهد له الحق الذي بأيدينا"[١].

وفي إنكار معاوية – ﷺ – دليل على أن الصحابة – ﷺ – كانوا يتحرَّون الصواب ، ويردّون على أهل الكتاب أو مَن أسلم منهم أقوالهم التي تستحق الردّ والمراجعة.

[١] البداية والنهاية لابن كثير ٣٦/٣ .

الموضع الثاني : قوله تعالى [قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى (١٨)] طه

قال ابن كثير – رحمه الله – :

"وَقَوْلُهُ: {وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى} أَيْ: مَصَالِحُ وَمَنَافِعُ وَحَاجَاتٌ أُخَرُ غَيْرُ ذَلِكَ.

وَقَدْ تَكَلَّفَ بَعْضُهُمْ لِذِكْرِ شَيْءٍ مِنْ تِلْكَ الْمَآرِبِ الَّتِي أُبْهِمَتْ، فَقِيلَ: كَانَتْ تُضِيءُ لَهُ بِاللَّيْلِ، وَتَحْرُسُ لَهُ الْغَنَمَ إِذَا نَامَ، وَيَغْرِسُهَا فَتَصِيرُ شَجَرَةً تُظِلُّهُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الْخَارِقَةِ لِلْعَادَةِ[١].

وَالظَّاهِرُ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ كَذَلِكَ، وَلَوْ كَانَتْ كَذَلِكَ لَمَا اسْتَنْكَرَ مُوسَى صَيْرُورَتَهَا ثُعْبَانًا، فَمَا كَانَ يَفِرُّ مِنْهَا هَارِبًا، وَلَكِنْ كُلُّ ذَلِكَ مِنَ الْأَخْبَارِ الْإِسْرَائِيلِيَّةِ"[٢] .

---

[١] أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس عصا موسى قال: أعطاه إياها ملك من الملائكة إذ توجه إلى مدين فكانت تضيء له بالليل ويضرب بها الأرض فيخرج له النبات ويهش بها على غنمه ورق الشجر.

وأخرج أيضا عن قتادة في قوله: {ولي فيها مآرب أخرى} قال: كانت تضيء له بالليل كانت عصا آدم عليه السلام [انظر : تفسير ابن أبي حاتم ٢٤١٩/٧ و٢٤٢٠] .

[٢] تفسير ابن كثير ٥ / ٢٧٩ .

التعليق :

ابن كثير – رحمه الله – بيّن أن ذكر ما أبهمه القرآن من المآرب الأخرى لعصا موسى – عليه السلام – تكلّف أوقع صاحبه فيما يخالف العقل والمنطق ، ولهذا ردّه ابن كثير ، إذ كيف يَعهد موسى على عصاه غرائب وعجائب ثم يوجس في نفسه خيفة من تحولها إلى حية ؟! وهذا ردٌّ عقلي قويّ .

وقد ورد وصف حال موسى – عليه السلام – وخوفه وفراراه عندما تحولت عصاه إلى حية في أكثر من موضع في القرآن الكريم منها :

قوله تعالى {فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى (٢٠) قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى} [طه: ٢٠، ٢١]

وقوله تعالى {وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ[1] وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ} [النمل: ١٠]

---

[1] الجانّ: الحيَّة التي ليست بالعظيمة ولا الصغيرة [مفردات القرآن ٢٨٧/٢ – أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ) – المحقق: أحمد يوسف النجاتي وآخرون – ط دار المصرية للتأليف والترجمة / الأولى]
فإن قيل: كيف قال في موضع كَأَنَّها جَانٌّ وفي موضع آخر فَإِذا هِيَ ثُعْبانٌ «٢» والموصوف واحد؟
قلنا: فيه وجهان:

وقوله تعالى {وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ } [القصص: ٣١]

ومعلوم أن المراد بخوف موسى – عليه السلام – هنا : الخوف الجبلي الذي فطر الله عليه البشر وجبلهم عليه ، وهو الخوف من عدو أو سبع أو غرق أو هدم، أو نحو ذلك من أسباب الهلاك أو الأذى الظاهرة ، وهو ما يسمى بالخوف الطبيعي.

الموضع الثالث : قوله تعالى [فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩)] الشعراء

قال ابن كثير – رحمه الله – :

"قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ} أَيْ: فَاسْتَمَرُّوا عَلَى تَكْذِيبِ نَبِيِّ اللَّهِ هُودٍ وَمُخَالَفَتِهِ وَعِنَادِهِ، فَأَهْلَكَهُمُ اللَّهُ، وَقَدْ بيَّن سَبَبَ إِهْلَاكِهِ إِيَّاهُمْ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنَ الْقُرْآنِ بِأَنَّهُ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا عَاتِيَةً، أَيْ: رِيحًا شَدِيدَةَ الْهُبُوبِ ذَاتَ بَرْدٍ شَدِيدٍ جِدًّا، فَكَانَ إِهْلَاكُهُمْ مِنْ جِنْسِهِمْ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا أَعْتَى شَيْءٍ وَأَجْبَرَهُ، فَسَلَّطَ اللَّهُ

أحدهما: أنّها في أوّل أمرها جانّ وفي آخر الأمر ثعبان، وذلك أنّها كانت تصير حية على قدر العصا ثم لا تزال تنتفخ وتربو حتى تصير كالثعبان العظيم.
والآخر: أنّها في سرعة الجانّ وخفّته وفي صورة الثعبان وقوّته [الكشف والبيان عن تفسير القرآن ١٩١/٧ – أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (المتوفى: ٤٢٧هـ) – تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور – ط دار إحياء التراث العربي، بيروت / الأولى ١٤٢٢ هـ] .

عَلَيْهِمْ مَا هُوَ أَعْتَى مِنْهُمْ وَأَشَدُّ قُوَّةً، كَمَا قَالَ: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ [ذَاتِ الْعِمَادِ] } (٤) [الْفَجْرِ:٦، ٧] وَهُمْ عَادٌ الْأُولَى، كَمَا قَالَ: {وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الأولَى} [النَّجْمِ:٥٠] ، وَهُمْ مِنْ نَسْلِ إِرَمَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ. {ذَاتِ الْعِمَادِ} أَيِ: الَّذِينَ كَانُوا يَسْكُنُونَ الْعُمَدَ. وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ "إِرَمَ" مَدِينَةٌ، فَإِنَّمَا أَخَذَ ذَلِكَ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ مِنْ كَلَامِ كَعْبٍ وَوَهْبٍ، وَلَيْسَ لِذَلِكَ أَصْلٌ أَصِيلٌ. وَلِهَذَا قَالَ: {الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ} [الْفَجْرِ:٨] ، أَيْ: لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُ هَذِهِ الْقَبِيلَةِ فِي قُوَّتِهِمْ وَشِدَّتِهِمْ وَجَبَرُوتِهِمْ، وَلَوْ كَانَ الْمُرَادُ بِذَلِكَ مَدِينَةً لَقَالَ: الَّتِي لَمْ يُبْنَ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ، وَقَالَ: {فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ} [فُصِّلَتْ:١٥]" [(١)] .

التعليق :

الآيات التي يفسرها ابن كثير – رحمه الله – تتناول تكذيب قوم عاد لنبيهم هود – عليه السلام – وتبدأ قصتهم في سورة الشعراء بقوله تعالى {كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ} [الشعراء: ١٢٣] وتنتهي في نفس السورة بقوله تعالى {فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ} [الشعراء: ١٣٩] وتُختم القصة كما ختمت نظائرها في سورة الشعراء بقوله تعالى {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ } [الشعراء: ١٣٩، ١٤٠] .

[(١)] تفسير ابن كثير ١٥٤/٦ .

وابن كثير – كما هو منهجه – يجمع الآيات الواردة في نفس المعنى ، فيَسرد بعض الآيات المتحدثة عن هلاك عاد كقوله تعالى {وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى} [النجم: ٥٠] وقوله {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ} [الفجر: ٦، ٧] ثم يستطرد بذكر فائدة مهمة – وإن كان ليس هذا مكانها – وهي أن إرم اسم لعاد الأولى التي هي من نسل إرم بن سام بن نوح ، واستبعد ابن كثير أن يكون إرم اسم للمدينة التي كانت تسكنها عاد ، ويُنبّه ابن كثير – رحمه الله – أن من جعل ذلك تسمية بمدينتهم فهو ناقل من الأخبار الإسرئيلية التي يَردّها ظاهر القرآن في قوله تعالى {الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ} [الفجر: ٨] فعبّر بـ(يُخلق) دون (يُبنى) ليؤيد الحقيقة التاريخية أن عاد من نسل إرم بن سام بن نوح ، كما أشار ابن كثير – رحمه الله – بأنهم كانوا يتفاخرون بقوتهم ويقولون { مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً } وهذا يعضد أنهم المقصودون بقوله تعالى { لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا } يعني في القوة والشدة .

وقد أكدّ ابن كثير وجهة نظره هذه في موضع آخر من تفسيره فقال :

"وقوله: {التي لم يخلق مثلها في البلاد} أعاد ابن زيد الضمير على العماد؛ لارتفاعها، وقال: بنوا عمدا بالأحقاف لم يخلق مثلها في البلاد. وأما قتادة وابن جرير فأعادا الضمير على القبيلة، أي: لم يخلق مثل تلك القبيلة في البلاد، يعني في زمانهم، وهذا القول هو الصواب. وقول ابن زيد ومن ذهب مذهبه

ضعيف؛ لأنه لو كان أراد ذلك لقال: التي لم يعمل مثلها في البلاد، وإنما قال: {لم يخلق مثلها في البلاد} ...

ومن زعم أن المراد بقوله: {إرم ذات العماد} مدينة إما دمشق، كما روي عن سعيد بن المسيب وعكرمة، أو إسكندرية كما روي عن القرظي أو غيرهما، ففيه نظر، فإنه كيف يلتئم الكلام على هذا: {ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد} إن جعل ذلك بدلا أو عطف بيان، فإنه لا يتسق الكلام حينئذ. ثم المراد إنما هو الإخبار عن إهلاك القبيلة المسماة بعاد، وما أحل الله بهم من بأسه الذي لا يرد، لا أن المراد الإخبار عن مدينة أو إقليم.

وإنما نبهت على ذلك لئلا يغتر بكثير مما ذكره جماعة من المفسرين عند هذه الآية[1]، من ذكر مدينة يقال لها: {إرم ذات العماد} مبنية بلبن الذهب والفضة، قصورها ودورها وبساتينها، وإن حصباءها لآلئ وجواهر، وترابها بنادق المسك، وأنهارها سارحة، وثمارها ساقطة، ودورها لا أنيس بها، وسورها وأبوابها تصفر، ليس بها داع ولا مجيب، وأنها تنتقل فتارة تكون بأرض الشام، وتارة باليمن، وتارة بالعراق، وتارة بغير ذلك من البلاد ؛ فإن هذا كله من خرافات

[1] انظر على سبيل المثال : الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي ١٩٧/١٠ ، ومفاتيح الغيب ١٥٣/٣١ – أبو عبد الله محمد بن عمر الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) – ط دار إحياء التراث العربي بيروت – الثالثة / ١٤٢٠ هـ .

الإسرائيليين، من وضع بعض زنادقتهم، ليختبروا بذلك عقول الجهلة من الناس أن تصدقهم في جميع ذلك"[١] .

ووافق الطبريُّ ابنَ كثير – رحمهما الله – في استبعاد أن تكون (إرم) اسم لمدينة عاد فقال :

"وأشبه الأقوال فيه بالصواب عندي: أنها اسم قبيلة من عاد، ولذلك جاءت القراءة بترك إضافة عاد إليها وترك إجرائها، ولو كانت إرم اسم بلدة أو اسم جد لعاد؛ لجاءت القراءة بإضافة عاد إليها، كما يقال: هذا عمرو وزبيد وحاتم طيء، وأعشى همدان، ولكنها اسم قبيلة منها، فيما أرى"[٢] .

أما السبب الذي من أجله جعل ابن كثير – رحمه الله – القول بأن (إرم) اسم للمدينة من الإسرائيليات ، فهو ما ذكره جماعة من المفسرين عن أوصاف مدينة إرم مما يروى عن كعب أو وهب بن منبه[٣] .

---

[١] تفسير ابن كثير ٣٩٥/٨ و٣٩٦ بتصرف .

[٢] تفسير الطبري ٤٠٥/٢٤ .

[٣] انظر : بحر العلوم للسمرقندي ٥٧٨/٣ ، وزاد المسير في علم التفسير ٤٤١/٤ – جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) – المحقق: عبد الرزاق المهدي – ط دار الكتاب العربي بيروت – الأولى / ١٤٢٢ هـ .

الموضع الرابع : قوله تعالى [إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤١)] فاطر

قال ابن كثير – رحمه الله – :

"وَقَدْ أَوْرَدَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ[١] هَاهُنَا حَدِيثًا غَرِيبًا بَلْ مُنْكَرًا، فَقَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ الْجُنَيْدِ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنِي هِشَامُ بْنُ يُوسُفَ، عَنْ أُمَيَّةَ بْنِ شِبْلٍ، عَنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبَانَ، عَنْ عِكْرِمَة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَحْكِي عَنْ مُوسَى، عليه السلام عَلَى الْمِنْبَرِ قَالَ: "وَقَعَ فِي نَفْسِ مُوسَى عليه السلام: هَلْ يَنَامُ اللَّهُ عز وجل؟ فَأَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا، فَأَرَّقَهُ ثَلَاثًا ، وَأَعْطَاهُ قَارُورَتَيْنِ، فِي كُلِّ يَدٍ قَارُورَةٌ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَحْتَفِظَ بِهِمَا. قَالَ: فَجَعَلَ يَنَامُ وَتَكَادُ يَدَاهُ تَلْتَقِيَانِ، ثُمَّ يَسْتَيْقِظُ فَيَحْبِسُ إِحْدَاهُمَا عَنِ الْأُخْرَى، حَتَّى نَامَ نَوْمَهُ، فَاصْطَفَقَتْ يَدَاهُ فَتَكَسَّرت الْقَارُورَتَانِ. قَالَ: ضَرَبَ اللَّهُ لَهُ مَثَلًا أَنَّ اللَّهَ لَوْ كَانَ يَنَامُ لَمْ تَسْتَمْسِكِ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ"[٢].

---

[١] تفسير ابن أبي حاتم ٣١٨٦/١٠ .

[٢] أخرجه أبو يعلى في مسنده ٢١/١٢ برقم (٦٦٦٩) وقال محققه حسين سليم:رجاله ثقات ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٣/١) برقم (٢٧٣): "رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى، وَفِيهِ أُمَيَّةُ بْنُ شِبْلٍ، ذَكَرَهُ الذَّهَبِيُّ فِي الْمِيزَانِ، وَلَمْ يَذْكُرْ أَنَّ أَحَدًا ضَعَّفَهُ، وَإِنَّمَا ذَكَرَ لَهُ هَذَا الْحَدِيثَ وَضَعَّفَهُ بِهِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. قُلْتُ: ذَكَرَهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي الثِّقَات" .

وتخريجه في كنز العمال (٣٧١/١٠) برقم (٢٩٨٥٢): "(ع) – رمز لأبي يعلى– عن عكرمة عن أبي هريرة، وضعفه؛ ورواه عبد الرزاق في تفسيره عن عكرمة موقوفا عليه" .

وَالظَّاهِرُ أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ لَيْسَ بِمَرْفُوعٍ، بَلْ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ الْمُنْكَرَةِ فَإِنَّ مُوسَى عليه السلام أَجَلّ مِنْ أَنْ يُجَوّز عَلَى اللَّهِ ﷻ النَّوْمَ، وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ بِأَنَّهُ: {الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ} [الْبَقَرَةِ:٢٥٥] . وَثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيّ، رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يُخْفِضُ القِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ أَوِ النَّارُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سبُحات وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ[(١)]"[(٢)].

التعليق :

ذكر ابن كثير – رحمه الله – ما أورده ابن أبي حاتم في تفسيره عن أبي هريرة مرفوعًا ما يتعلق بموسى عليه السلام وتساؤله هل ينام الله؟ ولم يكتف بالحُكم عليه بأنه عجيب ومنكر ، مستبعدًا أن يقع هذا من موسى – عليه السلام – وهو كليم الله

---

(١) صحيح مسلم ١٦١/١ كتاب الإيمان – باب قوله عليه السلام : إن الله لا ينام رقم (٢٩٣) من حديث أبي موسى ، وهو مما تفرد به مسلم، ويؤكد ذلك أن صاحب كتاب (الجمع بين الصحيحين) ذكر الحديث في أفراد مسلم [الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم ١/ ٣٢٠ رقم (٤٨٨) – محمد بن فتوح أبو عبد الله بن أبي نصر – المحقق: د. علي حسين البواب – ط دار ابن حزم بيروت – الثانية/ ٢٠٠٢م] .

وقد وهِم ابن كثير – رحمه الله – حيث عزاه إلى الصحيحين ، ولعله كتب "وثبت في الصحيح" فأخطأ الناسخ.

(٢) تفسير ابن كثير ٥٥٨/٦ .

، بل رَدّ عليه بالمنقول بآية الكرسي وفيها { لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ} وبما ثبت في صحيح مسلم – رحمه الله – (إِنَّ اللَّهَ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ) .

كما حكم – رحمه الله – بأن الحديث لا يصح مرفوعًا إلى النبي – ﷺ – وبيَن أنه من الإسرائيليات المنكرة .

قال ابن الجوزي بعد ذكره لهذا الحديث :

"ولا يثبت هذا الحديث عن رسول الله ﷺ ، وغلط من رفعه ، والظاهر أن عكرمة رأى هذا في كتب اليهود فرواه فما يزال عكرمة يذكر عنهم أشياء ، لا يجوز أن يخفى هذا على نبي الله ﷻ، وقد روى عبد الله بن أحمد بن حنبل في كتاب (السنة) عن سعيد بن جبير قال : إن بني إسرائيل قالوا لموسى –عليه السلام– : هل ينام ربنا؟[1] وهذا هو الصحيح فإن القوم كانوا جهالا بالله ﷻ"[2] .

---

[1] عَنْ سَعِيدٍ يَعْنِي ابْنَ جُبَيْرٍ، قَالَ: قَالَتْ: بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى عليه السلام: أَيَنَامُ رَبُّكَ؟ قَالَ: فَقَالَ يَا [ص:٤٥٦] مُوسَى خُذْ قَدَحَيْنِ زُجَاجَتَيْنِ فَامْلَأْهُمَا مَاءً فَصَلِّ، وَهُمَا فِي يَدَيْكَ فَانْظُرْ هَلْ يَتْبُتَانِ، فَقَامَ يُصَلِّي فَنَعَسَ فَانْكَسَرَتَا، فَقَالَ: يَا مُوسَى لَوْ نِمْتُ لَضَاعَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ " [السنة ٤٥٥/٢ برقم (١٠٢٨) – أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) – المحقق: د. محمد سعيد القحطاني – ط دار ابن القيم / الدمام – الأولى/ ١٤٠٦] .

[2] العلل المتناهية في الأحاديث الواهية ٢٨/١ برقم (٢٣) – جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) – المحقق: إرشاد الحق الأثري – ط إدارة العلوم الأثرية باكستان – الثانية/ ١٤٠١هـ .

وبهذا يتبّن أن محل الإنكار فيما سبق هو أن يُنسب السؤال (هل ينام الله؟) لموسى – عليه السلام – وهو أجلّ من أن يخفى عليه ذلك ، والصواب أنه سؤال من بني إسرائيل وقد سألوا موسى أكبر من ذلك .

والقصة من الإسرائيليات لتعلقها بموسى عليه السلام ، ولروايتها من طريق عكرمة وقد كان يروي شيئا من كتب اليهود ، ولله درّ ابن كثير – رحمه الله – حيث نبّه على ما فيها خطأ لا يصح نسبته لموسى – عليه السلام– .

ومما تجدر الإشارة إليه أن ابن كثير – رحمه الله – ذكر هذا الحديث – المتعلق بسؤال موسى عليه السلام عن نوم الله – عند تفسيره لآية الكرسي ونبّه هناك أنه من أخبار بني إسرائيل[١].

وإنما ذكرت هنا نص كلامه عند تفسيره للآية (٤١) من سورة فاطر مع تأخره عن موضع سورة البقرة لتضمنه ردّا نقليًا من الكتاب والسنة ، وهو الموافق لعنوان المبحث .

[١] انظر : تفسير ابن كثير ٦٧٩/١ .

<u>الموضع الخامس</u> : قوله تعالى [يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٣)] الحديد

قال ابن كثير – رحمه الله – :

قال ابن جَرِيرٍ[١]: وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ ذَلِكَ السُّورَ سورُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ عِنْدَ وَادِي جَهَنَّمَ. ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ الْبَرْقِيِّ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَطِيَّةَ بْنِ قَيْسٍ، عن أبي العوام– مُؤَذِّنِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ– قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو يَقُولُ: إِنَّ السُّورَ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ: {فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ} [الحديد : ١٣] هُوَ السُّورُ الشَّرْقِيُّ بَاطِنُهُ الْمَسْجِدُ وَمَا يَلِيهِ، وَظَاهِرُهُ وَادِي جَهَنَّمَ.

ثُمَّ رُوِيَ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، وَكَعْبِ الْأَحْبَارِ، وَعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ، نَحْوُ ذَلِكَ. وَهَذَا مَحْمُولٌ مِنْهُمْ عَلَى أَنَّهُمْ أَرَادُوا بِهَذَا تَقْرِيبَ الْمَعْنَى وَمِثَالًا لِذَلِكَ، لَا أَنَّ هَذَا هُوَ الَّذِي أُرِيدَ مِنَ الْقُرْآنِ هَذَا الْجِدَارُ الْمُعَيَّنُ وَنَفْسُ الْمَسْجِدِ وَمَا وَرَاءَهُ مِنَ الْوَادِي الْمَعْرُوفِ بِوَادِي جهنم؛ فإن الجنة في السموات فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ، وَالنَّارَ فِي الدَّرَكَاتِ أَسْفَلَ سَافِلِينَ. وَقَوْلُ كَعْبِ الْأَحْبَارِ: إِنَّ

[١] تفسير الطبري ١٨٣/٢٣ .

الْبَابَ الْمَذْكُورَ فِي الْقُرْآنِ هُوَ بَابُ الرَّحْمَةِ الَّذِي هُوَ أَحَدُ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ، فَهَذَا مِنْ إِسْرَائِيلِيَّاتِهِ وتُرّهاته[١].

وَإِنَّمَا الْمُرَادُ بِذَلِكَ: سورٌ يُضْرَب يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيَحْجِزَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُنَافِقِينَ، فَإِذَا انْتَهَى إِلَيْهِ الْمُؤْمِنُونَ دَخَلُوهُ مِنْ بَابِهِ، فَإِذَا اسْتَكْمَلُوا دُخولهم أُغْلِقَ الْبَابُ وَبَقِيَ الْمُنَافِقُونَ مِنْ وَرَائِهِ فِي الْحَيْرَةِ وَالظُّلْمَةِ وَالْعَذَابِ، كَمَا كَانُوا فِي الدَّارِ الدُّنْيَا فِي كَفْرٍ وَجَهْلٍ وَشَكٍّ وَحَيْرَةٍ"[٢] .

التعليق :

ذكر ابن كثير ما أورده بن جرير – رحمهما الله – منسوبا لبعض الصحابة من كون السور الذي ذُكر في قوله تعالى { فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ} هو السور الشرقي لبيت المقدس ، باطنه المسجد وما يليه، وظاهره وادي جهنم ، ثم علّق تعليقًا رائعًا مبينًا أنه هذا إنما يُقبل على أنه تفسير بالمثال لتقريب المعنى ، وإلا فإنه من الترهات التي يأباها سياق الآيات الناطقة بأن الله – ﷻ – يُضاعف الأجر لمن يُنفق ماله في مرضاته ، وهذه المضاعفة تكون يوم القيامة حين يُدخل الله المؤمنين الجنة

---

[١] الترہ : الْبَاطِل ، الترهة : الفلاة وَالطَّرِيق الصَّغِير المتشعب عَن الطَّرِيق الْأَعْظَم ، وَالْبَاطِل وَالْقَوْل الْخَالِي من نفع [القاموس الوسيط صـ٨٥ مادة (ترہ) – مجمع اللغة العربية – ط دار الدعوة] .

[٢] تفسير ابن كثير ١٧/٨–١٨ .

ويضرب بينهم وبين المنافقين بباب يفصل أهل الرحمة عن أهل العذاب ، وهذا واضح جلي من مجرد مطالعة الآيات:

{مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١١) يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ} [الحديد: ١١ – ١٣] .

وقد راجعت عددًا غير يسير من التفاسير التي نقلت هذه الروايات حول تفسير السور الوارد في الآية بالسور الشرقي لبيت المقدس ، فوجدتهم عدّوه قولاً من الأقوال ولم يُعلق مفسّر من أصحاب هذه التفاسير – على جلالة قدرهم – بشيء مما نطق به ابن كثير – لله درّه– ، اللهم إلا ابن عطية الذي اكتفى باستبعاده لهذا القول دون تفصيل فقال :

"وقال عبد الله بن عمر[١] وكعب الأحبار وعبادة بن الصامت وابن عباس: هو الجدار الشرقي في مسجد بيت المقدس، وقال زياد بن أبي سوادة: قام

[١] الذي عند الطبري ونقله عنه ابن كثير في هذه المسالة مروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص لا عن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، فلعل ابن عطية وهِم في ذلك أو هو خطأ من الناسخ ، فلم أجد فيها ما يروى عن عبد الله بن عمر ، والله أعلم .

عبادة على السور الشرقي من بيت المقدس فبكى وقال: من هاهنا أخبرنا النبي ﷺ أنه رأى جهنم.

قال القاضي أبو محمد: وفيه باب يسمى باب الرحمة، سماه في تفسير هذه الآية عبادة وكعب، وفي الشرق من الجدار المذكور واد يقال له: وادي جهنم، سماه في تفسير هذه الآية عبد الله بن عمر وابن عباس، وهذا القول في السور بعيد ، والله أعلم"[١] .

[١] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٢٦٢/٥ – أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية – تحقيق : عبد السلام عبد الشافي – ط دار الكتب العلمية – الأولى / ١٤٢٢هـ .

المبحث الخامس

إسرائيليات ذكرها ابن كثير في تفسيره ونبَّه على نكارتها وغرابتها

الموضع الأول: قوله تعالى [بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١)] الفاتحة

قال ابن كثير – رحمه الله –:

"وَقَدْ رَوَى الْحَافِظُ ابْنُ مَرْدُويه[١] مِنْ طَرِيقَيْنِ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَيَّاشٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ يَحْيَى، عَنْ مِسْعَر، عَنْ عَطِيَّةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَسْلَمَتْهُ أُمُّهُ إِلَى الكتَّاب لِيُعَلِّمَهُ، فَقَالَ الْمُعَلِّمُ: اكتب، قال : ما أكتب؟ قال: بسم اللَّهِ، قَالَ لَهُ عِيسَى: وَمَا بِاسْمِ اللَّهِ؟ قَالَ الْمُعَلِّمُ: مَا أَدْرِي . قَالَ لَهُ عِيسَى: الْبَاءُ بَهاءُ اللَّهِ، وَالسِّينُ سَنَاؤُهُ، وَالْمِيمُ مَمْلَكَتُهُ، وَاللَّهُ إِلَهُ الْآلِهَةِ، وَالرَّحْمَنُ رَحْمَنُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالرَّحِيمُ رَحِيمُ الْآخِرَةِ).

وَقَدْ رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ[٢] مِنْ حَدِيثِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَلَاءِ الْمُلَقَّبِ: زِبْرِيق، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَيَّاشٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ يَحْيَى، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكة، عَمَّنْ حَدَّثَهُ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَمِسْعَرٍ، عَنْ عَطِيَّةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَذَكَرَهُ .

---

[١] انظر : الدر المنثور ٢٣/١ .

[٢] انظر : تفسير الطبري ١٢١/١ ، وقال محققه شاكر : هذا حديث موضوع لا أصل له .

وَهَذَا غَرِيبٌ جَدًّا، وَقَدْ يَكُونُ صَحِيحًا إِلَى مَنْ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَيَكُونُ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ لَا مِنَ الْمَرْفُوعَاتِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ"[١].

التعليق :

وصَفَ ابن كثير – رحمه الله – هذه الحديث بأنه غريب جدًا ، كما استبعد أن يكون مرفوعًا إلى رسول الله – ﷺ – ، ثم بيّن أنه على فرض صحته إلى مَن دون رسول الله – ﷺ – فإنه من الإسرئيليات ، وكأنه يُحذَر من الركون إليه لما فيه من تعلّم عيسى – عليه السلام – على مُعلّم لا يَفقه معنى (بسم الله) ، بالإضافة إلى التفسير المنسوب إلى عيسى – عليه السلام – المبني على تقطيع كلمة (بسم) إلى حروف ، كل حرف يرمز إلى كلمة ، وهذا الترميز لم يستسغه ابن كثير – رحمه الله – في الأحرف المقطعة[٢] فكيف يقبل بمثله هنا؟

ويضاف إلى ما سبق أن الحديث موضوع لا أصل له كما قال الشيخ شاكر في تحقيقه على تفسير الطبري[٣] .

---

[١] تفسير ابن كثير ١/١١٩ .

[٢] انظر : تفسير ابن كثير ١/١٥٩ .

[٣] انظر : تفسير الطبري ١/١٢١.

الموضع الثاني : قوله تعالى [وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٠)] البقرة

قال ابن كثير – رحمه الله –:

"وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ[١]: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا هشام الرَّازِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ مَعْرُوفٍ، يَعْنِي ابْنَ خَرّبوذ الْمَكِّيَّ، عَمَّنْ سَمِعَ أَبَا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ يَقُولُ: السّجِلّ مَلَكٌ[٢]، وَكَانَ هَارُوتُ وَمَارُوتُ مِنْ أَعْوَانِهِ، وَكَانَ لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ ثَلَاثُ لَمَحَاتٍ يَنْظُرُهُنَّ فِي أُمِّ الْكِتَابِ[٣]، فَنَظَرَ نَظْرَةً لَمْ تَكُنْ لَهُ فَأَبْصَرَ فِيهَا خَلْقَ آدَمَ وَمَا كَانَ فِيهِ مِنَ الْأُمُورِ، فأسَر ذَلِكَ إِلَى هَارُوتَ وَمَارُوتَ، وَكَانَا مِنْ أَعْوَانِهِ، فَلَمَّا قَالَ تَعَالَى: {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ} قَالَا ذَلِكَ اسْتِطَالَةً[٤] عَلَى الْمَلَائِكَةِ.

---

[١] انظر : تفسير ابن أبي حاتم ٧٨/١.

[٢] هو المذكور في سورة الأنبياء، الآية ١٠٤ {يَوْمَ نَطْوِي السَّماءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ} قَالَ ابن جرير في تفسيره ٥٤٣/١٨ : عن ابن عمر في قوله (يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ) قال: السجِلّ: مَلَك، فإذا صعد بالاستغفار قال: اكتبها نورا.

[٣] المقصود بـ(أم الكتاب) هنا : اللوح المحفوظ : وهو الكتاب الذي كتب الله فيه كلّ ما هو كائن [انظر : تفسير الطبري ٤٧٦/١٧] .

[٤] اسْتَطالَ: امْتَدَّ، وارْتَفَع، وتَفَضَّلَ، وتَطاوَلَ [القاموس المحيط صـ١٠٢٧ باب اللام فصل الطاء].

وَهَذَا أَثَرٌ غَرِيبٌ، وَبِتَقْدِيرِ صِحَّتِهِ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ الْبَاقِرِ، فَهُوَ نَقَلَهُ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَفِيهِ نَكَارَةٌ تُوجِبُ رَدَّهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَمُقْتَضَاهُ أَنَّ الَّذِينَ قَالُوا ذَلِكَ إِنَّمَا كَانُوا اثْنَيْنِ فقط، وَهُوَ خِلَافُ السِّيَاقِ.

وَأَغْرَبُ مِنْهُ مَا رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ[١] -أَيْضًا-حَيْثُ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ أَبِي عَبْد اللَّهِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ قَالُوا: {أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ} كَانُوا عَشْرَةَ آلَافٍ، فَخَرَجَتْ نَارٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَأَحْرَقَتْهُمْ.

وَهَذَا -أَيْضًا-إِسْرَائِيلِيٌّ مُنْكَرٌ كَالَّذِي قَبْلَهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ"[٢].

التعليق :

روى ابن كثير هنا أثرين : الأول مفاده أن هاروت وماروت هما اللذان قالا {أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا} وقد علق عليه ابن كثير بأنه أثر غريب وفيه نكارة وفيه مخالفة للسياق الذي يقتضي أن القائلين جماعة من الملائكة ، ثم أكدّ أنه على فرض صحته إلى أبي جعفر الباقر فهو نقله عن أهل الكتاب .

أما الأثر الثاني : فقد وصفه ابن كثير – رحمه الله – بأنه أغرب من الأول وأنه إسرائيلي منكر كسابقه ، وذلك أنه يقتضي إحراق عشرة آلاف من الملائكة بسبب قولهم {أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا} .

---

[١] انظر : تفسير ابن أبي حاتم ٧٨/١.

[٢] انظر : تفسير ابن كثير ٢١٩/١ .

والراجح أن الملائكة قالوا ذلك إما بإعلام الله إياهم أو بقياسهم البشر على الجن الذين سكنوا الأرض قبلهم وأفسدوا وسفكوا الدماء[١] .

والأثران – وإن لم يردا في كتب السُّنة المشهورة – قد وردا في تفسير ابن أبي حاتم ، فنبَّه ابن كثير – رحمه الله – على ما في متنهما من الغرابة والنكارة حتى لا يغتر أحد بهما ، وأنهما وإن كانا من الإسرائيليات فهما من القسم المنكر غير المقبول ، وهذا جهد مشكور منه رحمه الله.

الموضع الثالث : قوله تعالى [وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢)] البقرة

[١] انظر : الصحيح المسبور في التفسير بالمأثور ١/١٣٤ و١٣٥ – حكمت بن بشير بن ياسين – ط دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة/ المدينة النبوية – الأولى ١٤٢٠هـ.

قال ابن كثير -رحمه الله- :

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ-رحمه الله- فِي مُسْنَدِهِ(١): حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُوسَى بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ: أَنَّهُ سَمِعَ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّ آدَمَ -عليه السلام- لَمَّا أَهْبَطَهُ اللَّهُ إِلَى الْأَرْضِ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: أَيْ رَبِّ {أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [الْبَقَرَةِ: ٣٠] ، قَالُوا: رَبَّنَا، نَحْنُ أَطْوَعُ لَكَ مِنْ بَنِي آدَمَ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمَلَائِكَةِ: هَلُموا مَلَكَيْنِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ حَتَّى نُهْبِطَهُمَا إِلَى الْأَرْضِ، فَنَنْظُرَ كَيْفَ يَعْمَلَانِ؟ قَالُوا: برَبِّنا، هاروتَ وماروتَ. فَأُهْبِطَا إِلَى الْأَرْضِ ومثُلت لَهُمَا الزُّهَرة امْرَأَةً مِنْ أَحْسَنِ الْبَشَرِ، فَجَاءَتْهُمَا، فَسَأَلَاهَا نَفْسَهَا. فَقَالَتْ: لَا وَاللَّهِ حَتَّى تَتَكَلَّمَا بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ مِنَ الْإِشْرَاكِ. فَقَالَا وَاللَّهِ لَا نُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا أَبَدًا. فَذَهَبَتْ عَنْهُمَا ثُمَّ رَجَعَتْ بِصَبِيٍّ تَحْمِلُهُ، فَسَأَلَاهَا نَفْسَهَا. فَقَالَتْ: لَا وَاللَّهِ حَتَّى تَقْتُلَا هَذَا الصَّبِيَّ. فَقَالَا لَا وَاللَّهِ لَا نَقْتُلُهُ أَبَدًا. ثُمَّ ذَهَبَتْ فَرَجَعَتْ بقَدَح خَمْر تَحْمِلُهُ، فَسَأَلَاهَا نَفْسَهَا. فَقَالَتْ: لَا وَاللَّهِ حَتَّى تَشْرَبَا هَذَا الْخَمْرَ. فَشَرِبَا فَسَكِرَا، فَوَقَعَا عَلَيْهَا، وَقَتَلَا الصَّبِيَّ. فَلَمَّا أَفَاقَا قَالَتِ الْمَرْأَةُ: وَاللَّهِ مَا تَرَكْتُمَا شَيْئًا أَبَيْتُمَاهُ عَلِيَّ إِلَّا قَدْ فَعَلْتُمَاهُ حِينَ سَكِرْتُمَا. فخيرَا بَيْنَ عَذَابِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ، فَاخْتَارَا عَذَابَ الدُّنْيَا".

(١) انظر : المسند ٣١٧/١٠ برقم (٦١٧٧) .

وَهَكَذَا رَوَاهُ أَبُو حَاتِمِ بْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ[١]، عَنِ الْحَسَنِ عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ بُكَيْرٍ، بِهِ .

وَهَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَرِجَالُهُ كُلُّهُمْ ثِقَاتٌ مِنْ رِجَالِ الصَّحِيحَيْنِ، إِلَّا مُوسَى بْنَ جُبَيْرٍ هَذَا، وَهُوَ الْأَنْصَارِيُّ السُّلَمِيُّ مَوْلَاهُمُ الْمَدِينِيُّ الْحَذَّاءُ، رَوَى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَأَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ، وَنَافِعٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ. وَرَوَى عَنْهُ ابْنُهُ عَبْدُ السَّلَامِ، وَبَكْرُ بْنُ مُضَرَ، وَزُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، وَسَعِيدُ بْنُ سَلَمَةَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ لَهِيعة، وَعَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ، وَيَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ. وَرَوَى لَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَابْنُ مَاجَهْ، وَذَكَرَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي كِتَابِ الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ[٢]، وَلَمْ يحك فيه شيئًا مِنْ هَذَا وَلَا هَذَا، فَهُوَ مَسْتُورُ الْحَالِ وَقَدْ تَفَرَّدَ بِهِ عَنْ نَافِعٍ مَوْلَى ابْنِ عُمَرَ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

وَرُوِيَ لَهُ مُتَابِعٌ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ عَنْ نَافِعٍ، كَمَا قَالَ ابْنُ مَرْدُويه: حَدَّثَنَا دَعْلَجُ بْنُ أَحْمَدَ، حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ هِشَامٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَجَاءٍ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ سَلَمَةَ، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ سَرْجِس، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ: سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ. فَذَكَرَهُ بِطُولِهِ.

---

[١] انظر : صحيح ابن حبان ٦٤/١٤ برقم (٦١٨٦) .

[٢] انظر : الجرح والتعديل (٨/ ١٣٩) وذكره ابن حبان في الثقات (٤٥١/٧) وقال: "يخطئ ويخالف".

وَقَالَ أَبُو جَعْفَرِ بْنُ جَرِيرٍ[١]: حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ -وَهُوَ سُنَيْدُ بْنُ دَاوُدَ صَاحِبُ التَّفْسِيرِ-حَدَّثَنَا الْفَرَجُ بْنُ فَضَالَةَ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ نَافِعٍ، قَالَ: سَافَرْتُ مَعَ ابْنِ عُمَرَ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَالَ: يَا نَافِعُ، انْظُرْ، طَلَعَتِ الْحَمْرَاءُ؟ قُلْتُ: لَا -مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا- ثُمَّ قُلْتُ: قَدْ طَلَعَتْ. قَالَ: لَا مَرْحَبًا بِهَا وَلَا أَهْلًا؟ قُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ! نَجْمٌ مُسَخَّرٌ سَامِعٌ مُطِيعٌ. قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ إِلَّا مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ -أَوْ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ-: "إن الْمَلَائِكَةَ قَالَتْ: يَا رَبِّ، كَيْفَ صَبْرُكَ عَلَى بَنِي آدَمَ فِي الْخَطَايَا وَالذُّنُوبِ؟ قَالَ: إِنِّي ابْتَلَيْتُهُمْ وَعَافِيَتُكُمْ. قَالُوا: لَوْ كُنَّا مَكَانَهُمْ مَا عَصَيْنَاكَ. قَالَ: فَاخْتَارُوا مَلَكَيْنِ مِنْكُمْ. قَالَ: فَلَمْ يَأْلُوا جُهْدًا أَنْ يَخْتَارُوا، فَاخْتَارُوا هَارُوتَ وَمَارُوتَ"[٢] .

---

[١] انظر : تفسير الطبري ٤٣٢/٢ .

[٢] قال الشيخ شاكر في تحقيقه على تفسير الطبري (٤٣٢/٢) : "الفرج بن فضالة التنوخي القضاعي: ضعيف قال البخاري: "منكر الحديث" .... وهذا الحديث هنا مختصر، وقد رواه الخطيب في ترجمة سنيد مطولا من طريق عبد الكريم بن الهيثم عن سنيد بهذا الإسناد. وهذه الأخبار في قصة هاروت وماروت وقصة الزهرة، وأنها كانت امرأة فمسخت كوكبا ؛ أخبار أعلها أهل العلم بالحديث" .

وقال الشهاب في حاشيته على البيضاوي ٢١٤/٢ : "قال المحدثون : وجميع رجاله غير موثوق بهم ، لكن قال خاتمة الحفاظ الشهاب ابن حجر : أخرجه أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه وأنّ له طرقاً كثيرة جمعتها في جزء مفرد يكاد الواقف عليها يقطع بصحتها لكثرتها وقوّة مخارجها ، وقال بعضهم: بلغت طرقه نيفا وعشرين ، لكن أهل الكلام اتفقوا على عصمة الملائكة عليهم الصلاة والسلام وطعنوا في هذه القصة وعدوها من المحالات لمسخ الإنسان كوكباً كما بينوه في كتبهم" .

وَهَذَانِ -أَيْضًا- غَرِيبَانِ جِدًّا. وَأَقْرَبُ مَا فِي هَذَا أَنَّهُ مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ، لَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، كَمَا قَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي تَفْسِيرِهِ[١]، عَنِ الثَّوْرِيِّ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ سَالِمٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنْ كَعْبٍ، قَالَ ذَكَرَتِ الْمَلَائِكَةُ أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ، وَمَا يَأْتُونَ مِنَ الذُّنُوبِ، فَقِيلَ لَهُمُ: اخْتَارُوا مِنْكُمُ اثْنَيْنِ، فَاخْتَارُوا هَارُوتَ وَمَارُوتَ. فَقَالَ لَهُمَا: إِنِّي أُرْسِلُ إِلَى بَنِي آدَمَ رُسُلًا وَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ رَسُولٌ، انْزِلَا لَا تُشْرِكَا بِي شَيْئًا وَلَا تَزْنِيَا وَلَا تَشْرَبَا الْخَمْرَ. قَالَ كَعْبٌ: فَوَاللَّهِ مَا أَمْسَيَا مِنْ يَوْمِهِمَا الذِي أُهْبِطَا فِيهِ حَتَّى اسْتَكْمَلَا جَمِيعَ مَا نُهِيَا عَنْهُ.

وَرَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ مِنْ طَرِيقَيْنِ، عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ، بِهِ[٢] .

وَرَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عِصَامٍ، عَنْ مُؤَمَّل، عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، بِهِ[٣] .

وَرَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ أَيْضًا[١]: حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا الْمُعَلَى -وَهُوَ ابْنُ أَسَدٍ- حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ الْمُخْتَارِ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، حَدَّثَنِي سَالِمٌ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ يُحَدِّثُ، عَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ، فَذَكَرَهُ .

---

[١] انظر : تفسير عبد الرزاق ١/ ٧٣ و٧٤ .

[٢] انظر : تفسير الطبري ٤٢٩/٢ .

[٣] انظر : تفسير بن أبي حاتم ١٩٠/١ .

فَهَذَا أَصَحُّ وَأَثْبَتُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ مِنَ الْإِسْنَادَيْنِ الْمُتَقَدِّمَيْنِ، وَسَالِمٌ أَثْبَتُ فِي أبيه من مولاه

نَافِعٍ. فَدَارَ الْحَدِيثُ وَرَجَعَ إِلَى نَقْلِ كَعْبِ الْأَحْبَارِ، عَنْ كُتُبِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ"(٢).

التعليق :

أورد ابن كثير – رحمه الله – حديثاً عن ابن عمر مرفوعا أخرجه الإمام أحمد وصححه ابن حبان ، وقد تكلم عليه ابن كثير من ناحيتين : السند والمتن .

فأما من حيث السند فقد بيّن – رحمه الله – أن فيه راوٍ مستور الحال، وأن للحديث متابعات وروايات أخرى أرجحها ما يُفيد أن الحديث موقوف على عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

وأما من حيث المتن فقد رأى فيه ابن كثير غرابة واضحة جعلته يجزم بأنه منقول عن أهل الكتاب لاسيما وقد جاءت روايات توضح أن عبد الله سمعه من كعب رضي الله عنه.

وقد أشار ابن كثير إلى هذه القصة في كتابه (البداية والنهاية) (١) ثم قال: "فهذا أظنه من وضع الإسرائيليين، وإن كان قد أخرجه كعب الأحبار، وتلقاه

(١) انظر : تفسير الطبري ٤٣٠/٢ .
(٢) تفسير ابن كثير ٣٥٣/١ و٣٥٤ .

عنه طائفة من السلف، فذكروه على سبيل الحكاية والتحدث عن بني إسرائيل "، وقال أيضًا، بعد الإشارة إلى أسانيد أخر: "وإذا أحسنا الظن قلنا: هذا من أخبار بني إسرائيل، كما تقدم من رواية ابن عمر عن كعب الأحبار. ويكون من خرافاتهم التي لا يعول عليها".

أما عن قصة هاروت وماروت فقد قال ابن كثير – رحمه الله – بعد ذكر كثير من الروايات التي في الطبري وغيره: "وقد روى في قصة هاروت وماروت، عن جماعة من التابعين، كمجاهد، والسدي والحسن البصري، وقتادة، وأبي العالية، والزهري، والربيع بن أنس، ومقاتل بن حيان، وغيرهم، وقصها خلق من المفسرين، من المتقدمين والمتأخرين. وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل، إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى. وظاهر سياق القرآن إجمال القصة" من غير بسط ولا إطناب فيها. فنحن نؤمن بما ورد في القرآن، على ما أراده الله تعالى. والله أعلم بحقيقة الحال"[٢].

وهذا هو الحق، وفيه القول الفصل، والحمد لله.

وجدير بالذكر ما قاله القرطبي بعد سياق بعض ذلك: "قلنا هذا كله ضعيف وبعيد عن ابن عمر وغيره، لا يصح منه شيء، فإنه قول تدفعه الأصول في

---

[١] البداية والنهاية ٣٩/١ و ٤٠/١ .

[٢] تفسير ابن كثير ٣٦٠/١ .

الملائكة الذين هم أمناء الله على وحيه، وسفراؤه إلى رسله، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون"[١] .

الموضع الرابع : قوله تعالى [وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (١٤٣)] الأعراف

قال ابن كثير – رحمه الله – :

"قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ: مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ. وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ[٢]. وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: {وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ} أَنَّهُ لَا يَرَاكَ أَحَدٌ. وَكَذَا قَالَ أَبُو

---

[١] تفسير القرطبي ٥٢/٢ ، وانظر : الصحيح المسبور ٦٣/١ .

[٢] ذكر ابن جرير الطبري رحمه الله في تأويل {وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ} [الأعراف : ١٤٣] قولين : الأول : وأنا أوّل المؤمنين بك من قومي أن لا يراك في الدنيا أحد إلا هلك ، والثاني : وأنا أول المؤمنين بك من بني إسرائيل ، ثم قال : "وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في قوله: "وأنا أول المؤمنين"، على قول من قال: معناه: أنا أول المؤمنين من بني إسرائيل؛ لأنه قد كان قبله في بني إسرائيل مؤمنون وأنبياء منهم ولدُ إسرائيل لصُلْبه وكانوا مؤمنين وأنبياء، فلذلك اخترنا القول الذي قلناه قبل" أه فدل ذلك على أن ما قاله ابن كثير خطأ ، فابن جرير إنما اختار القول الأول. [انظر : تفسير الطبري ١٠٢/١٣ –١٠٥] .

الْعَالِيَةِ: قَدْ كَانَ قَبْلَهُ مُؤْمِنُونَ، وَلَكِنْ يَقُولُ: أَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِكَ أَنَّهُ لَا يَرَاكَ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَهَذَا قَوْلٌ حَسَنٌ لَهُ اتِّجَاهٌ.

وَقَدْ ذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ هَاهُنَا أَثَرًا طَوِيلًا فِيهِ غَرَائِبُ وَعَجَائِبُ، عَنْ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ يَسَارٍ ﷺ وَكَأَنَّهُ تَلَقَّاهُ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ"(١).

التعليق :

لم أقف على هذا الأثر الذي ذكره ابن كثير في تفسير ابن جرير ، وإنما وجدت في تفسير ابن أبي حاتم عند تفسيره للآية (١٤٥) من سورة الأعراف :

"حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدِ بْنُ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْقَطَّانُ، ثنا يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، حَدَّثَنِي صَدَقَةُ بْنُ يَسَارٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ:

أَعْطَى اللَّهُ مُوسَى التَّوْرَاةَ فِي سَبْعَةِ أَلْوَاحٍ مِنْ زَبَرْجَدٍ فِيهَا تِبْيَانٌ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَمَوْعِظَةُ التَّوْرَاةِ مَكْتُوبَةً فَلَمَّا جَاءَ بِهَا فَرَأَى بَنِي إِسْرَائِيلَ عَكَفُوا عَلَى فِي الْعِجْلِ، رَمَى بِالتَّوْرَاةِ مِنْ يَدَيْهِ، فَتَحَطَّمَتْ وَأَقْبَلَ عَلَى هَارُونَ فَأَخَذَ بِرَأْسِهِ، فَرَفَعَ اللَّهُ مِنْهَا سِتَّةَ أَسْبَاعٍ وبقي سبعا"(٢) .

---

(١) تفسير ابن كثير ٤٧٢/٣ .

(٢) تفسير ابن أبي حاتم ١٥٦٢/٥ .

وهو كما ترى في تفسير آية تلي { وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ } بآيتين ، ومن رواية محمد بن إسحاق عن صدقة بن يسار ، وليس عند ابن جرير ؛ فهل هذا الذي يعنيه ابن كثير؟ الله أعلم .

وبالرجوع إلى بعض روايات محمد بن إسحاق عند ابن جرير ، وجدته يروي عن وهب بن منبه ، وهو من المشاهير في رواية الإسرائيليات ، فلعل الرواية التي يعنيها ابن كثير من هذا القبيل .

الموضع الخامس : قوله تعالى [قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢)] الحجر

قال ابن كثير – رحمه الله –:

"وَقَدْ رَوَى ابْنُ جَرِيرٍ[١] هَاهُنَا أَثَرًا غَرِيبًا عَجِيبًا، مِنْ حَدِيثِ شَبِيبِ بْنِ بِشْرٍ، عَنْ عِكْرِمة، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ قَالَ: إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ فَاسْجُدُوا لَهُ. قَالُوا: لَا نَفْعَلُ. فَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ نَارًا فَأَحْرَقَتْهُمْ، ثُمَّ خَلَقَ مَلَائِكَةً فَقَالَ لَهُمْ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقَالُوا: لَا نَفْعَلُ. فَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ نَارًا فَأَحْرَقَتْهُمْ. ثُمَّ خَلَقَ مَلَائِكَةً أُخْرَى فَقَالَ: إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ، فَإِذَا أَنَا خَلَقْتُهُ فَاسْجُدُوا لَهُ فَأَبَوْا، فَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ نَارًا فَأَحْرَقَتْهُمْ. ثُمَّ خَلَقَ مَلَائِكَةً فَقَالَ: إِنِّي خَالِقٌ

[١] انظر : تفسير الطبري ١٠١/١٧ .

بَشَرًا مِنْ طِينٍ، فَإِذَا أَنَا خَلَقْتُهُ فَاسْجُدُوا لَهُ قَالُوا : سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا، إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ الْأَوَّلِينَ [١] .

وَفِي ثُبُوتِ هَذَا عَنْهُ بُعْدٌ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ إِسْرَائِيلِيٌّ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ"[٢].

التعليق :

استبعد ابن كثير ثبوت هذا الأثر عن ابن عباس – ﷺ – ، ورجّح أنه من الإسرائيليات لما تضمنه من عصيان الملائكة لأمر ربهم ، وهذا مخالف لما ثبت في الأصول من كونهم لا يعصون الله ما أمرهم ، ويُضاف لذلك أن الأثر لما يَرِد في كتب السنة المعتبرة ولم يُخرّجه أحدٌ من الأئمة النُّقاد .

وقد أورد صاحب روح البيان هذا الأثر عن ابن عباس وعلق عليه فقال :

" فيه إشكالان : الأول: أن عبادة الملائكة طبيعية ، فلا يتصور منهم التردد فضلا عن الامتناع عن الامتثال للأمر الإلهي ، لا سيما أن إبليس لو شاهد تلك الحال لبادر إلى الامتثال خوفًا من سطوة الجلال ، اللهم إلا أن لا يكون بحضوره .

---

[١] انظر : العظمة لأبي الشيخ ١٥٦١/٥ ، وفي آخره : "إِلَّا إِبْلِيسُ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ الْأَوَّلِينَ الَّذِينَ حُرِقُوا" .

[٢] تفسير ابن كثير ٥٣٤/٤ .

والثاني: أن التأكيدين – يعني {كلهم أجمعين} – أفادا المعية والاجتماع ، وذلك بالنظر الى جميع الملائكة ، وفيما ذكره تفريق لطائفة عن أخرى"[١] .

الموضع السادس : قوله تعالى [وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (٨٣)] الكهف

قال ابن كثير – رحمه الله – :

وقد أورد ابن جرير[٢] هاهنا، والأموي في مغازيه[٣]، حديثا أسنده وهو ضعيف، عن عقبة بن عامر، أن نفرا من اليهود جاؤوا يسألون النبي ﷺ عن ذي القرنين، فأخبرهم بما جاؤوا له ابتداء، فكان فيما أخبرهم به: "أنه كان شابا من الروم، وأنه بنى الإسكندرية، وأنه علا به ملك في السماء، وذهب به إلى السد، ورأى أقواما وجوههم مثل وجوه الكلاب"[٤]. وفيه طول ونكارة، ورفعه لا يصح، وأكثر ما فيه أنه من أخبار بني إسرائيل. والعجب أن أبا زرعة

---

[١] روح البيان ٤٦٢/٤ – إسماعيل حقي – ط دار الفكر – بيروت.

[٢] انظر : تفسير الطبري ٩٢/١٨ .

[٣] لم اعثر عليه ، وقد أشار بعض الباحثين إلى أنه مفقود .

[٤] انظر : الدر المنثور للسيوطي ٤٣٧/٥ . قال محقق زاد المسير ١٠٥/٣: "هذا الحديث ضعيف جدا، وهو مرسل، ولو صح هذا مرفوعا لما اختلف الناس في سبب تسميته بذلك، والأشبه كونه من كلام بعض أئمة التفسير ... وله ثلاث علل: ضعف ابن لهيعة ،وشيخه عبد الرحمن بن غنم، وجهالة رواته، فهو شبه موضوع".

الرازي[١]، مع جلالة قدره، ساقه بتمامه في كتابه دلائل النبوة[٢]، وذلك غريب منه، وفيه من النكارة أنه من الروم، وإنما الذي كان من الروم الإسكندر الثاني ابن فيليبس المقدوني، الذي تؤرخ به الروم، فأما الأول فقد ذكره الأزرقي[٣] وغيره أنه طاف بالبيت مع إبراهيم الخليل، عليه السلام، أول ما بناه وآمن به واتبعه، وكان معه الخضر، عليه السلام، وأما الثاني فهو، إسكندر بن فيليبس المقدوني اليوناني، وكان وزيره أرسطاطاليس الفيلسوف المشهور، والله أعلم. وهو الذي تؤرخ به من مملكته ملة الروم. وقد كان قبل المسيح، عليه السلام، بنحو من ثلثمائة سنة، فأما الأول المذكور في القرآن فكان في زمن الخليل، كما ذكره الأزرقي وغيره، وأنه طاف مع الخليل بالبيت العتيق لما بناه إبراهيم، عليه السلام، وقرب إلى

(١) أبو زرعة الرازي : هو عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ المخزومي بالولاء، من حفاظ الحديث، من أهل الري. زار بغداد، وحدث بها، وجالس أحمد بن حنبل، وكان يحفظ مائة ألف حديث، ويقال: كل حديث لا يعرفه أبو زرعة ليس له أصل، توفي بالري سنة ٢٦٤هـ [انظر : الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٣٢٨/١ ، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٦٦/١٣ ، والأعلام للزركلي ١٩٤/٤] .

(٢) انظر : دلائل النبوة للبيهقي ٢٩٦/٦ ، ولم أعثر على كتاب دلائل النبوة لأبي زرعة الرازي .

(٣) انظر : أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار ٧٤/١ – محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني المكي المعروف بالأزرقي (المتوفى: ٢٥٠هـ) – المحقق: رشدي الصالح ملحس – ط دار الأندلس للنشر بيروت.

الله قربانا، وقد ذكرنا طرفا من أخباره في كتاب "البداية والنهاية"[١] ، بما فيه كفاية ولله الحمد"[٢].

التعليق :

ذكر ابن كثير – رحمه الله – حديث عقبة بن عامر المبين لشخصية ذي القرنين ، ونقده من ناحيتين :

الأولى ناحية السند : فحكم عليه بالضعف وأنه لا يصح مرفوعًا .

الثانية ناحية المتن : فبيَّن أن فيه طول ونكارة وعلامات تدل على أنه إسرئيليات[٣] ، ولم يكتفِ بذلك بل فَصّل القول في بيان نكارته ببيان أن المتن يتحدث عن شخصية تاريخية متأخرة عن الشخصية الصحيحة ، وهنا ظهرت براعة ابن كثير التاريخية حيث أوضح الفرق بين الشخصيتين (الإسكندر الأول والثاني) وأوضح أدلته فيما ذهب إليه ، وبهذا يزول الإشكال واللبس الذي وقع فيه البعض كأبي زرعة الرازي ، فلله درّ ابن كثير الذي لم يقنع بالتعليق على

(١) انظر : البداية ولنهاية لابن كثير ١٢٢/٢ وما بعدها .

(٢) تفسير ابن كثير ١٨٩/٥ .

(٣) قال الشوكاني معلقا على هذا الحديث وغيره : "ولعل هذه الأخبار ونحوها منقولة عن أهل الكتاب، وقد أمرنا بأن لا نصدقهم ولا نكذبهم فيما ينقلونه إلينا" [فتح القدير ٣٦٦/٣ – محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) – ط دار ابن كثير دمشق – الأولى١٤١٤هـ].

سند الحديث وتضعيفه وبيان طول المتن وغرابته ، بل أطال النفس في توضيح الحق بأدلته ، وهي سمة مَيَّزت ابن كثير وجهوده فيما يتعلق بالإسرائيليات قلما تجدها عند غيره.

الموضع السابع : قوله تعالى [فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧)] مريم

قال ابن كثير – رحمه الله – :

"وقال أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب قال: إن روح عيسى، عليه السلام، من جملة الأرواح التي أخذ عليها العهد في زمان آدم، وهو الذي تمثل لها بشرا سويا، أي: روح عيسى، فحملت الذي خاطبها وحل في فيها.

وهذا في غاية الغرابة والنكارة، وكأنه إسرائيلي"[١].

التعليق :

الحديث اختصره ابن كثير ، أما نصه مطولا فهو:

[١] تفسير ابن كثير ٥/٢٢٠ .

عَن أبيّ بن كَعْب فِي قَوْله {وَإِذ أَخذ رَبك من بني آدم من ظُهُورهمْ ذُرِّيتهمْ} قَالَ: إِلَى قَوْله {بِمَا فعل المبطلون} قال : جمعهم جَمِيعًا فجعلهم أرواحاً فِي صورهم، ثمَّ استنطقهم فتكلموا ثمَّ أَخذ عَلَيْهِم الْعَهْد والميثاق {وأشهدهم على أنفسهم أَلَسْت بربكم قَالُوا بلَى} قَالَ: فَإِنِّي أشهد عَلَيْكُم السَّمَوَات السَّبع وَأشْهد عَلَيْكُم أَبَاكُم آدم {أَن تَقولُوا يَوْم الْقِيَامَة} انَّا لم نعلم بِهَذَا اعلموا أَنه لَا إِلَه غَيْرِي وَلَا رب غَيْرِي وَلَا تُشْرِكُوا بِي شَيْئا إِنِّي سأرسل إِلَيْكُم رُسُلِي يذكرونكم عهدي وميثاقي وَأنزل عَلَيْكُم كتبي قَالُوا: شَهِدنَا بأنك رَبنَا وإلهنا لَا رب لنا غَيْرك وَلَا إِلَه لنا غَيْرك فأقروا وَرفع عَلَيْهِم آدم ينظر إِلَيْهِم فَرَأى الْغَنِيّ وَالْفَقِير وَحسن الصُّورَة وَدون ذَلِك فَقَالَ: يَا رب لَوْلَا سوّيت بَين عِبَادك قَالَ: إِنِّي أَحْبَبْت أَن أشكر ، وَرَأى الْأَنْبِيَاء فيهم مثل السرج عَلَيْهِم النُّور وخصوا بميثاق آخر فِي الرسَالَة والنبوة أَن يبلغُوا وَهُوَ قَوْله {وَإِذ أَخذنَا من النَّبِيين ميثاقهم} الْأَحْزَاب الْآيَة ٧ الْآيَة وَهُوَ قَوْله {فطْرَة الله الَّتِي فطر النَّاس عَلَيْهَا} الرّوم الْآيَة ٣٠ وَفِي ذَلِك قَالَ {وَمَا وجدنَا لأكثرهم من عهد وَإِن وجدنَا أَكْثَرهم لفاسقين} الْأَعْرَاف الْآيَة ١٠٢ وَفِي ذَلِك قَالَ {فَمَا كَانُوا ليؤمنوا بِمَا كذبُوا بِهِ من قبل} الْأَعْرَاف الْآيَة ١٠١ قَالَ: فَكَانَ فِي علم الله يَوْمئِذٍ من يكذب بِهِ وَمن يصدق بِهِ ، فَكَانَ روح عِيسَى من تِلْكَ الْأَرْوَاح الَّتِي أَخذ عهدها وميثاقها فِي زمن آدم فَأرْسلهُ الله إِلَى مَرْيَم فِي صُورَة بشر فتمثل لَهَا بشرا سوياً قَالَ: أبي فَدخل من فِيهَا[1] .

[1] انظر : الدر المنثور للسيوطي ٣/٦٠٠ وقال : أخرجه عبد بن حميد وعبد الله بن أحمد

وابن كثير – رحمه الله – صرَّح بأنه في غاية الغرابة والنكارة وأنه شبيه بالإسرائيليات .

والصحيح أن المراد بالروح في الآية جبريل –عليه السلام – بدليل قوله بعدها {فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا} وعيسى – عليه سلم – بشر فكيف يقال إنه تمثل ببشر؟! ثم إنه وقع بين مريم وجبريل – عليه السلام – حوار حكاه القرآن الكريم وكان من كلام جبريل {قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا} وهذا صريح في أن المتحدث غير الموهوب[١].

وإنما سمي جبريل – عليه السلام – روحاً لأنه يأتي بما يحيى به العباد من الوحي، ولهذا سمي عيسى أيضاً روحاً، وسمي القرآن روحاً[٢] .

بن حنبل في زوائد المسند وابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن منده في كتاب الرد على الجهمية والالكائي وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات وابن عساكر في تاريخه ، وانظر : المستدرك على الصحيحين للحاكم ٣٥٣/٢ برقم (٣٢٥٥) حيث روى الحديث بألفاظ مقاربة وصححه ووافقه الذهبي ، وعليه فيكون السند إلى أبيّ صحيحًا ، وتكون الغرابة والنكارة في المتن .

[١] انظر : الهداية في بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب ٤٥٠٩/٧ ، وتفسير السمعاني ٢٨٣/٣ ، وتفسير البغوي ٢٢٨/٣.

[٢] انظر : الهداية في لوغ النهاية لمكي بن أبي طالب ٤٥١٠/٧.

الموضع الثامن : قوله تعالى [وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا (٥٧)] مريم

قال ابن كثير – رحمه الله – :

"وَقَدْ رَوَى ابْنُ جَرِيرٍ[١] هَاهُنَا أَثَرًا غَرِيبًا عَجِيبًا، فَقَالَ: حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، أَنْبَأَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ الْأَعْمَشِ، عَنْ شَمِرِ بْنِ عَطِيَّةَ، عَنْ هِلَالِ بْنِ يَسَافٍ قَالَ: سَأَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ كَعْبًا، وَأَنَا حَاضِرٌ، فَقَالَ لَهُ: مَا قَوْلُ اللَّهِ –عَزَّ وَجَلَّ– لِإِدْرِيسَ: {وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا} [مريم: ٥٧] فَقَالَ كَعْبٌ: أَمَّا إِدْرِيسُ فَإِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيْهِ أَنِّي أَرْفَعُ لَكَ كُلَّ يَوْمٍ مِثْلَ عَمَلِ جَمِيعِ بَنِي آدَمَ، فَأَحَبَّ أَنْ يَزْدَادَ عَمَلًا فَأَتَاهُ خَلِيلٌ لَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ كَذَا وَكَذَا، فَكَلِّمْ لِي مَلَكَ الْمَوْتِ، فَلْيؤخرني حَتَّى أَزْدَادَ عَمَلًا فَحَمَلَهُ بَيْنَ جَنَاحَيْهِ، حَتَّى صَعِدَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، فَلَمَّا كَانَ فِي السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ تَلَقَّاهُمْ مَلَك الْمَوْتِ مُنْحَدِرًا، فَكَلَّمَ مَلَكَ الْمَوْتِ فِي الَّذِي كَلَّمَهُ فِيهِ إِدْرِيسُ، فَقَالَ: وَأَيْنَ إِدْرِيسُ؟ فَقَالَ: هُوَ ذَا عَلَى ظَهْرِي. قَالَ مَلَكُ الْمَوْتِ: فَالْعَجَبُ! بُعِثْتُ وَقِيلَ لي: اقبض روح إدريس فِي السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ. فَجَعَلْتُ أَقُولُ: كَيْفَ أَقْبِضُ رُوحَهُ فِي السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، وَهُوَ فِي الْأَرْضِ؟ فَقَبَضَ رُوْحَهُ هُنَاكَ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ: {وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا} .

هَذَا مِنْ أَخْبَارِ كَعْبِ الْأَحْبَارِ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ، وَفِي بَعْضِهِ نَكَارَةٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ"[٢].

---

[١] تفسير الطبري ٢١٢/١٥ .

[٢] تفسير ابن كثير ٢٤٠/٥ و ٢٤١ .

التعليق :

ذكر ابن كثير – رحمه الله – هذا الأثر حول إدريس – عليه السلام – ووصفه بالغريب العجيب ، ونسبه إلى إسرائيليات كعب وأن في بعضه نكارة ، والحق مع ما قال ، ويكفي لإنكاره أن يطلب إدريس – عليه السلام – مِن مَلَك أن يَشفع له إلى مَلَك الموت أن يؤخره– وحاشاه – ، و الصحيح: أن رسول الله –ﷺ – مَرَّ بإدريس – عليه السلام – في ليلة الإسراء وهو في السماء الرابعة[١] ، أما هذه التفاصيل الواردة في الأثر السابق فهي ما أنكره ابن كثير وحكم عليه بأنه إسرائيليات .

[١] انظر : صحيح البخاري ١٠٩/٤ – كتاب بدء الخلق – باب ذكر الملائكة – برقم (٣٢٠٧) .

الموضع التاسع : قوله تعالى [قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٤)] النمل

قال ابن كثير – رحمه الله – :

"وقد روى الإمام أبو بكر بن أبي شيبة[١] في هذا أثرا غريبا عن ابن عباس، قال: "حدثنا الحسين بن علي، عن زائدة، حدثني عطاء بن السائب، حدثنا مجاهد، ونحن في الأزد[٢] – قال: حدثنا ابن عباس قال: كان سليمان، عليه السلام، يجلس على سريره، ثم توضع كراسي حوله، فيجلس عليها الإنس، ثم يجلس الجن، ثم الشياطين، ثم تأتي الريح فترفعهم، ثم تظلهم الطير، ثم يغدون قدر ما يشتهي الراكب أن ينزل شهرا ورواحها شهرا، قال: فبينما هو ذات يوم في مسير له، إذ تفقد الطير ففقد الهدهد فقال: {وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠) لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ

---

[١] انظر : مصنف ابن أبي شيبة ٣٣٦/٦ برقم (٣١٨٥٣) مختصرًا ، وهو بتمامه عند ابن أبي حاتم عن أبي بكر بن شيبة [انظر : تفسير ابن أبي حاتم ٢٨٩٦/٩ ، والدر المنثور للسيوطي ٣٦٣/٦] .

[٢] أَزْدُ بنُ الغَوْثِ) بن نَبْت بن مالِكِ بن كَهْلاَنَ بنِ سَبَإٍ (و) هُوَ أَسْد، (بالسِّين أَفصحُ) ، وبالزّاي أَكثر... وَفِي (الِاسْتِيعَاب) : الأَزْدُ جُرثومةٌ من جراثيمِ قَحْطَانَ، وافتَرَقَتْ فِيمَا ذكَرَ أَبو عُبيدةَ وغيرُه من علماءِ النَّسب على نَحْوِ سبْعٍ وَعشْرين قَبيلةً [انظر : تاج العروس للزبيدي ٣٨٣/٧ مادة (أزد)] .

مُبِينٍ } ، قال: فكان عذابه إياه أن ينتفه، ثم يلقيه في الأرض، فلا يمتنع من نملة ولا من شيء من هوام الأرض.

قال عطاء: وذكر سعيد بن جبير عن ابن عباس مثل حديث مجاهد {فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ} – فقرأ حتى انتهى إلى قوله – {قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٧) اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا} وكتب {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} ، إلى بلقيس: {أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ} ، فلما ألقى الهدهد بالكتاب إليها، ألقي في روعها: إنه كتاب كريم، وإنه من سليمان، وأن لا تعلوا علي وأتوني مسلمين .... [وساق قصة طويلة ثم قال:]

قال: فقيل لها: { ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا} فإذا هي شعراء. فقال سليمان: هذا قبيح، ما يذهبه؟ فقالوا: تذهبه المواسي. فقال: أثر الموسى قبيح! قال: فجعلت الشياطين النورة[1]. قال: فهو أول من جعلت له النورة.

ثم قال أبو بكر بن أبي شيبة: ما أحسنه من حديث".

قلت: بل هو منكر غريب جدا، ولعله من أوهام عطاء بن السائب على ابن عباس، والله أعلم. والأقرب في مثل هذه السياقات أنها متلقاة عن أهل الكتاب، مما يوجد في صحفهم، كروايات كعب ووهب – سامحهما الله تعالى –فيما

[1] النُّورَةُ مِنَ الْحَجَرِ الَّذِي يُحْرَقُ ويُسَوَّى مِنْهُ الكِلْسُ وَيُحْلَقُ بِهِ شَعْرُ الْعَانَة [لسان العرب لابن منظور ٢٤٤/٥ باب الراء فصل النون] .

نقلاه إلى هذه الأمة من أخبار بني إسرائيل، من الأوابد[١] والغرائب والعجائب، مما كان وما لم يكن، ومما حرف وبدل ونسخ. وقد أغنانا الله- سبحانه - عن ذلك بما هو أصح منه وأنفع وأوضح وأبلغ، ولله الحمد والمنة"[٢].

التعليق :

حكم ابن كثير – رحمه الله – على الأثر قبل أن يسرده بأنه (غريب) ، ثم بعد أن ذكره مطولا وأورد ما رواه ابن أبي حاتم عن أبي بكر بن أبي شيبة – أعني قوله "ما أحسنه من حديث" – علق مبينًا للحق قائلا : " بل هو منكر غريب جدا، ولعله من أوهام عطاء بن السائب على ابن عباس، والله أعلم. والأقرب في مثل هذه السياقات أنها متلقاة عن أهل الكتاب..." وهذا حكم إجمالي على الرواية وما ورد فيها ، واللافت للنظر هنا أن ابن كثير – رحمه الله – لم يمنعه ما ورد عن أبي شيبة – مع جلالة قدره – من تحسين للحديث من أن يجهر بنكارة وغرابة القصة ، وهذه فضيلة تذكر لابن كثير فتشكر، فالأمر كما قال "مما أغنانا الله عنه" فليس في تفاصيله كبير فائدة ، لا سيما وأنها تفاصيل لم تثبت من طريق صحيح ، وبعضها – كالعذاب الواقع على الهدد- في قبوله توقف .

---

[١] الآبدة: الغريبةُ من الكلام، والجميع أوابد [كتاب العين للخليل بن أحمد ٨/٨٥ الثلاثي المعتل – باب الدال والباء].

[٢] تفسير ابن كثير ٦/١٩٥-١٩٧ .

الموضع العاشر : قوله تعالى [وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (٣٤)] ص

قال ابن كثير – رحمه الله – :

"وَقَالَ ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ قَوْلُهُ: {وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا} [ص: ٣٤] قَالَ: شَيْطَانًا يُقَالُ لَهُ: آصِفُ. فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ: كَيْفَ تَفْتِنُونَ النَّاسَ؟ قَالَ: أَرِنِي خَاتَمَكَ أُخْبِرْكَ. فَلَمَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ نَبَذَهُ آصِفُ فِي الْبَحْرِ فَسَاحَ سُلَيْمَانُ وَذَهَبَ مُلْكُهُ، وَقَعَدَ آصِفُ عَلَى كُرْسِيِّهِ وَمَنَعَهُ اللَّهُ نِسَاءَ سُلَيْمَانَ فَلَمْ يَقْرَبْهُنَّ –وَلَمْ يَقْرَبْنَهُ وَأَنْكَرْنَهُ. قَالَ: فَكَانَ سُلَيْمَانُ يَسْتَطْعِمُ فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُونِي؟ أَطْعِمُونِي أَنَا سُلَيْمَانُ فَيُكَذِّبُونَهُ، حَتَّى أَعْطَتْهُ امْرَأَةٌ يَوْمًا حُوتًا فَجَعَلَ يُطَيِّبُ بَطْنَهُ، فَوَجَدَ خَاتَمَهُ فِي بَطْنِهِ فَرَجَعَ إِلَيْهِ مُلْكُهُ وَفَرَّ آصِفُ فَدَخَلَ الْبَحْرَ فَارًّا.

وَهَذِهِ كُلُّهَا مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ وَمِنْ أَنْكَرِهَا مَا قَالَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ:

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ وَعُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَعَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالُوا: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ أَخْبَرَنَا الْأَعْمَشِ عَنِ الْمِنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا] {وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ} قَالَ: أَرَادَ سُلَيْمَانُ أَنْ يَدْخُلَ الْخَلَاءَ فَأَعْطَى الْجَرَادَةَ خَاتَمَهُ –وَكَانَتِ الْجَرَادَةُ امْرَأَتَهُ وَكَانَتْ أَحَبَّ نِسَائِهِ إِلَيْهِ–فَجَاءَ الشَّيْطَانُ فِي صُورَةِ سُلَيْمَانَ فَقَالَ

لَهَا: هَاتِي خَاتَمِي. فَأَعْطَتْهُ إِيَّاهُ. فَلَمَّا لَبِسَه دَانَتْ لَهُ الْإِنْسُ وَالْجِنّ وَالشَّيَاطِينُ..... "[١].

وبعد أن ساق قصة طويلة فيها عجائب ومنكرات قال :

"إِسْنَادُهُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ قَوِيٌّ ، وَلَكِنَّ الظَّاهِرَ أَنَّهُ إِنَّمَا تَلَقَّاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ –إِنْ صَحَّ عَنْهُ– مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَفِيهِمْ طَائِفَةٌ لَا يَعْتَقِدُونَ نُبُوَّةَ سُلَيْمَانَ –عليه السلام – فَالظَّاهِرُ أَنَّهُمْ يَكْذِبُونَ عَلَيْهِ ، وَلِهَذَا كَانَ فِي السِّيَاقِ مُنْكَرَاتٌ مِنْ أَشَدِّهَا ذِكْرُ النِّسَاءِ[٢] فَإِنَّ الْمَشْهُورَ أَنَّ ذَلِكَ الْجِنِّيَّ لَمْ يُسَلَّطْ عَلَى نِسَاءِ سُلَيْمَانَ بَلْ عَصَمَهُنَّ اللَّهُ مِنْهُ تَشْرِيفًا وَتَكْرِيمًا لِنَبِيِّهِ ﷺ، وَقَدْ رُوِيَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ مُطَوَّلَةً عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ السَّلَفِ، كَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ وَزَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ وَجَمَاعَةٍ آخَرِينَ وَكُلُّهَا متُلقَّاة مِنْ قَصَصِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ." [٣] .

التعليق :

رحم الله ابن كثير حيث نبّه على شدة نكارة هذه القصة التي تشوه مقام النبوة ، وتتحدث عن سليمان النبي الملِك – عليه السلام – بهذا الأسلوب المتدني ، فجَعَلَتْ للشيطان عليه وعلى نسائه وعلى قومه سبيلا ، واختصرت قيادة مُلك سليمان

---

[١] تفسير ابن كثير ٦٨/٧ .

[٢] يعني ما ذُكر في القصة من إتيان الشيطان لنساء سليمان وجماعه لهن حُيض .

[٣] تفسير ابن كثير ٦٩/٧ .

– عليه السلام – في خاتمه ، ويا لها من منكرات وخيالات نتجت كما صرح ابن كثير – رحمه الله – عن إنكار بعض أهل الكتاب لنبوة سليمان عليه السلام – ، خابوا وخسروا بما افتروه على الله ورسله ، وما أحسن ما نبّه إليه ابن كثير – رحمه الله – من عدم الاغترار برواية هذه القصة عن جماعة من السلف فمتنها – كما قال – مأخوذ عن أهل الكتاب .

الموضع الحادي العشر : قوله تعالى [يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا (٣٨)] النبأ

قال ابن كثير – رحمه الله – :

"وَقَدْ قَالَ الطَّبَرَانِيُّ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عرْس الْمِصْرِيُّ، حَدَّثَنَا وَهْبُ اللَّهِ بْنُ رِزْقٍ أَبُو هُرَيْرَةَ، حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ بَكْرٍ ، حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ، حَدَّثَنِي عَطَاءٌ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّ لِلَّهِ مَلَكًا لَوْ قِيلَ لَهُ: الْتَقِمِ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرَضِينَ بِلَقْمَةٍ وَاحِدَةٍ، لَفَعَلَ، تَسْبِيحُهُ: سُبْحَانَكَ حَيْثُ كُنْتَ"(١).

(١) المعجم الكبير للطبراني ١٩٥/١١ برقم (١١٤٧٦) ، وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (١٨٢/٧ برقم ٣١٩٩) : "منكر ، رواه الطبراني (٣/ ١٢٣/ ١) ، وعنه أبو نعيم في "الحلية" (٣/ ٣١٨) .... وقال الذهبي في "العلو" (ص٦٦ طبع الأنصار) :

وَهَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ جِدًّا، وَفِي رَفْعِهِ نَظَرٌ، وَقَدْ يَكُونُ مَوْقُوفًا عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، وَيَكُونُ مِمَّا تَلَقَّاهُ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ"[١].

التعليق :

حكم ابن كثير على متن هذا الحديث بأنه غريب جداً ، ولهذا لم يُسلم برفعه ، وتوقع أن يكون مما تلقاه ابن عباس – ﷺ – من الإسرئيليات ، وغرابته في بيان قُدرة أحد الملائكة بما لم يصح ، وعقيدتنا الإيمان بالملائكة – عليهم السلام – وبما ثبت لهم من صفات .

(حديث منكر). ولم يبين علته. وإنما هي في نقدي وهب الله هذا؛ فإنهم أغفلوه ولم يترجموه، وما ذلك إلا لجهالته وقلة روايته" .

[١] تفسير ابن كثير ٣١٠/٨ .

المبحث السادس

إسرائيليات ذكرها ابن كثير في تفسيره وتوقّف في تصديقها أو تكذيبها

الموضع الأول : قوله تعالى [وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا (١٦٤)] النساء

قال ابن كثير – رحمه الله –

"وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن الزهري، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث، عن جزء بن جابر الخثعمي، عن كعب قال: إن الله لما كلم موسى كلمه بالألسنة كلها سوى كلامه، فقال له موسى يا رب، هذا كلامك؟ قال: لا ولو كلمتك بكلامي لم تستقم له. قال: يا رب، فهل من خلقك شيء يشبه كلامك؟ قال: لا وأشد خلقي شبها بكلامي أشد ما تسمعون من الصواعق.

فهذا موقوف على كعب الأحبار، وهو يحكي عن الكتب المتقدمة المشتملة على أخبار بني إسرائيل، وفيها الغث والسمين"[١].

[١] تفسير ابن كثير ٢/٤٧٥ .

التعليق :

من صفات الله تعالى (صفة الكلام) ، وحقيقة هذه الصفة الإلهية محل خلاف بين الفرق الإسلامية[١] ، ومذهب أهل السنة أنه تعالى متكلم بكلام قديم، يُسمعه مَن شاء من خلقه، سمعه موسى -عليه السلام- منه من غير واسطة ، وهذا ثابت في قوله تعالى {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} [النساء: ١٦٤] ، وقوله {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ} [الْأَعْرَافِ: ١٤٣] [٢] .

وقد أورد ابن كثير – رحمه الله – في هذا الموضع من تفسيره[٣] روايات مفادها نفي أن يكون لله تعالى كلام يسمعه الخلائق ، وردّ بعضها من حيث السند وبعضها من حيث المتن ، ثم جاء إلى هذه الرواية عن كعب – وهي في نفس السياق – فاكتفى ببيان أنه ممن ينقلون عن أهل الكتاب وأن أخبارهم فيها الغث والسمين ، والحق أن ما تضمنته الرواية مما يصادم عقيدة أهل السنة في مسألة

---

[١] انظر : المغني للإمام المتولي صـ٢٥ وما بعدها – عبد الرحمن بن مأمون النيسابوري (المتوفى: هـ٤٧٨) – تحقيق وتقديم: مارى برنان : الناشر: المعهد الفرنسى للآثار الشرقيه، ١٩٨٦ – القاهرة (ملحق حوليات إسلامية العدد رقم ٧) ، والمواقف ١٢٨/٣ – عضد الدين الإيجي (المتوفى: هـ٧٥٦) – المحقق: عبد الرحمن عميرة – ط دار الجيل بيروت – الأولى هـ١٤١٧.

[٢] تعليق مختصر على كتاب لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد صـ٧٠ – محمد بن صالح بن محمد العثيمين – المحقق: أشرف بن عبد المقصود بن عبد الرحيم – ط مكتبة أضواء السلف – الثالثة هـ١٤١٥.

[٣] انظر : تفسير ابن كثير ٤٧٥/٢ .

كلام الله لموسى – عليه السلام – بل ويصادم ما نطق به القرآن من أن الله كلم موسى تكليما ، ومن ثَمّ فلا حاجة لنا إلى مثل هذه الروايات التي تنقل الغث من كلام أهل الكتاب.

الموضع الثاني : قوله تعالى [وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ (٤٢)] هود

قال ابن كثير – رحمه الله – :

"وَقَوْلُهُ: {وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ} [هود: ٤٢] هَذَا هُوَ الِابْنُ الرَّابِعُ، وَاسْمُهُ "يَامٌ"، وَكَانَ كَافِرًا، دَعَاهُ أَبُوهُ عِنْدَ رُكُوبِ السَّفِينَةِ أَنْ يُؤْمِنَ وَيَرْكَبَ مَعَهُمْ وَلَا يَغْرَقَ مِثْلَ مَا يَغْرَقُ الْكَافِرُونَ، {قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ} [هود: ٤٣] وَقِيلَ: إِنَّهُ اتَّخَذَ لَهُ مَرْكَبًا مِنْ زُجاج، وَهَذَا مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِصِحَّتِهِ"[١].

التعليق :

نقل ابن كثير – رحمه الله – بصيغة التمريض (قيل) هذا القول الذي يزعم أن ابن نوح اتخذ مركبًا من زجاج ، وتوقف ابن كثير في تصديق هذا القول ، ولم

[١] تفسير ابن كثير ٤/٣٢٣ .

أجد – فيما اطلعت عليه – من المفسرين من ذكره ، وهو قول بعيد جدًا ، فهل يُعقل أن ابن نوح يستطيع أن يصنع – في هذه التاريخ المتقدم من عمر البشرية – مركبًا من زجاج؟ ولعل مَن قال ذلك حاول تفسير { وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ } فورد في ذهنه أنه اتخذ مركبا من زجاج يَعزِل عنه الماء فلا يَغرق ، ولو استقام هذا له فمن أين له الهواء ليتنفس؟ كما لو أنه اتخذ مركبا من زجاج – كما قيل – فما حاجته إلى صعود الجبل؟ وقد أخبرنا القرآن قول ابن نوح { سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ}، والصواب أنه كان في معزل عن أبيه لأنه لم يَرض أن يتبع دينه[١] .

الموضع الثالث : قوله تعالى [وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (٥٨)] يوسف

قال ابن كثير – رحمه الله – :

"وَمَا ذَكَرَهُ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ مِنْ أَنَّهُ بَاعَهُمْ فِي السَّنَةِ الْأُولَى بِالْأَمْوَالِ، وَفِي الثَّانِيَةِ بِالْمَتَاعِ، وَفِي الثَّالِثَةِ بِكَذَا، وَفِي الرَّابِعَةِ بِكَذَا، حَتَّى بَاعَهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ

[١] قال ابن عطية :" وقوله: {فِي مَعْزِلٍ} أي في ناحية، فيمكن أن يريد في معزل في الدين، ويمكن أن يريد في معزل في بعده عن السفينة، واللفظ يعمهما" [المحرر الوجيز ٣/١٧٤].

وَأَوْلَادِهِمْ بَعْدَمَا تَمَلَّك عَلَيْهِمْ جَمِيعَ مَا يَمْلِكُونَ، ثُمَّ أَعْتَقَهُمْ وَرَدَّ عَلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ كُلَّهَا، اللَّهُ أَعْلَمُ بِصِحَّةِ ذَلِكَ، وَهُوَ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ الَّتِي لَا تُصَدَّقُ وَلَا تَكْذَّبُ"(١).

التعليق :

القول ما قال ابن كثير – رحمه الله – أن هذه التفاصيل التاريخية التي ضرب عنها القرآن صفحًا مما لا يُصدّق ولا يُكذّب ، وهي أيضًا مما لا حاجة إليه لخلوها من الفائدة .

غير أن جملة " حَتَّى بَاعَهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ " في النفس منها شيء ، فيوسف – عليه السلام – ما كان ليُعامل أخوته بمثل ذلك ، ولم يَرد في سورة يوسف ما يشير إلى ذلك من قريب أو بعيد.

(١) تفسير ابن كثير ٣٩٧/٤ .

الموضع الرابع : قوله تعالى [وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا (٥٠)] الكهف

قال ابن كثير – رحمه الله – :

"وَقَالَ ابْنُ جُرَيْج، عَنْ صَالِحٍ مَوْلَى التَّوْأمة وَشَرِيكِ بْنِ أَبِي نَمِر، أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: إِنَّ مِنَ الْمَلَائِكَةِ قَبِيلَةً مِنَ الْجِنِّ، وَكَانَ إِبْلِيسُ مِنْهَا، وَكَانَ يَسُوسُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ. فَعَصَى، فَسَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَمَسَخَهُ شَيْطَانًا رَجِيمًا – لَعَنَهُ اللَّهُ– مَمْسُوخًا، قَالَ: وَإِذَا كَانَتْ خَطِيئَةُ الرَّجُلِ فِي كِبْر فَلَا تَرْجُه، وَإِذَا كَانَتْ فِي مَعْصِيَةٍ فَارْجُهُ.

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْر أَنَّهُ قَالَ: كَانَ مِنَ الْجَنَّانِينَ، الَّذِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْجَنَّةِ.

وَقَدْ رُوِي فِي هَذَا آثَارٌ كَثِيرَةٌ عَنِ السَّلَفِ، وَغَالِبُهَا مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ الَّتِي تُنْقَلُ لِيُنْظَرَ فِيهَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِحَالِ كَثِيرٍ مِنْهَا، وَمِنْهَا مَا قَدْ يُقْطَعُ بِكَذِبِهِ لِمُخَالَفَتِهِ لِلْحَقِّ الَّذِي بِأَيْدِينَا، وَفِي الْقُرْآنِ غُنْيَةٌ عَنْ كُلِّ مَا عَدَاهُ مِنَ الْأَخْبَارِ الْمُتَقَدِّمَةِ؛ لِأَنَّهَا لَا تَكَادُ تَخْلُو مِنْ تَبْدِيلٍ وَزِيَادَةٍ وَنُقْصَانٍ، وَقَدْ وُضِعَ فِيهَا أَشْيَاءُ كَثِيرَةٌ، وَلَيْسَ لَهُمْ مِنَ الْحُفَّاظِ الْمُتْقِنِينَ الَّذِينَ يَنْفُون عَنْهَا تَحْرِيفَ الْغَالِينَ وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، كَمَا

لِهَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ الْأَئِمَّةِ وَالْعُلَمَاءِ وَالسَّادَةِ الْأَتْقِيَاءِ وَالْأَبْرَارِ وَالنُّجَبَاءِ مِنَ الْجَهَابِذَةِ النُّقَّادِ والحفاظ"[١].

التعليق :

أشار ابن كثير – رحمه الله – إلى كثرة الآثار الواردة عن السلف في حقيقة إبليس – لعنه الله – وغالبها من الإسرائيليات التي أغنانا القرآن عنها ، كما أوضح أنها لا تكاد تخلو من خلل علمي في النقل لعدم رسوخ علماء بني إسرائيل في الحفظ المتقن والنقد للمرويات ، ولعل أوضح دليل على ذلك أنهم استحفظوا على الوحي فبدلوا وغيروا كما نطق بذلك القرآن الكريم .

أما حقيقة إبليس فمختلف فيها بين العلماء فمنهم مَن يرى أنه كان من الملائكة حتى عصى الله فصار شيطانا رجيما ، فقد أخرج عبد الرزاق بسنده الصحيح عن قتادة قوله (إِلا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ) ، قال: كان من قبيل من الملائكة يقال لهم الجن[٢].

---

[١] تفسير ابن كثير ١٦٨/٥ .

[٢] انظر : الصحيح المسبور في التفسير بالمأثور ٣١١/٣، وقد عرض ابن جرير – رحمه الله – الروايات التي يستدل بها كل فريق من الفريقين ، ثم اختار الطبري أن إبليس من الملائكة فقال : " غيرُ مستنكر أن يكون الله جل ثناؤه خَلق أصناف ملائكته من أصنافٍ من خلقه شَتَّى. فخلق بعضًا من نُور، وبعضًا من نار، وبعضًا مما شاء من غير ذلك. وليس في ترك الله جل ثناؤه الخبر عَما خَلق منه ملائكته ، وإخبارِه عما خلق منه إبليس –

ومنهم مَن يرى أنه ليس من الملائكة وإنما هو من الجن وكان من خيرة عبّادهم فرُفع إلى مصاف الملائكة ، وهو اختيار ابن كثير حيث قال – رحمه الله – :

" وَقَوْلِهِ {فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ} أَيْ: خَانَهُ أَصْلُهُ؛ فَإِنَّهُ خُلِقَ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَأَصْلُ خَلْقِ الْمَلَائِكَةِ مِنْ نُورٍ، كَمَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عَائِشَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أنه قَالَ: "خُلِقت الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وخُلق إِبْلِيسُ مِنْ مارج من نار، وخُلق آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ" (١) . فَعِنْدَ الْحَاجَةِ نَضَحَ كُلُّ وِعَاءٍ بِمَا فِيهِ، وَخَانَهُ الطَّبْعُ عِنْدَ الْحَاجَةِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ قَدْ تَوَسَّم بِأَفْعَالِ الْمَلَائِكَةِ وَتَشَبَّهَ بِهِمْ، وَتَعَبَّدَ وَتَنَسَّكَ، فَلِهَذَا دَخَلَ فِي خِطَابِهِمْ، وَعَصَى بِالْمُخَالَفَةِ.

وَنَبَّهَ تَعَالَى هَاهُنَا عَلَى أَنَّهُ {مِنَ الْجِنِّ} أَيْ: إِنَّهُ خُلِق مِنْ نَارٍ، كَمَا قَالَ: {أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ} [الْأَعْرَافِ:١٢]

ما يوجب أن يكون إبليس خارجًا عن معناهم. إذْ كان جائزًا أن يكون خلق صِنفًا من ملائكته من نار كان منهم إبليس، وأن يكون أفرد إبليس بأنْ خَلقه من نار السموم دون سائر ملائكته. وكذلك غيرُ مخرجه أن يكون كان من الملائكة بأنْ كان له نسل وذرية، لِمَا ركَّب فيه من الشهوة واللذة التي نُزعت من سائر الملائكة، لِمَا أراد الله به من المعصية. وأما خبرُ الله عن أنه"من الجن"، فغير مدفوع أن يسمى ما اجتنّ من الأشياء عن الأبصار كلها جنًّا ... فيكون إبليسُ والملائكةُ منهم، لاجتنانهم عن أبصار بني آدم" [انظر : تفسير الطبري ١/٥٠٢ – ٥٠٨].

(١) صحيح مسلم ٤/٢٢٩٤ – كتاب الزهد والرقائق – باب في أحاديث متفرقة – رقم (٢٩٩٦) .

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: مَا كَانَ إِبْلِيسُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ طَرْفَةَ عَيْنٍ قَط، وَإِنَّهُ لَأَصْلُ الْجِنِّ، كَمَا أَنَّ آدَمَ، عليه السلام، أَصْلُ الْبَشَرِ. رواه ابن جرير بإسناد صحيح عنه[١]"[٢] .

<u>الموضع الخامس</u> : قوله تعالى [إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا (٤٠)] طه

قال ابن كثير – رحمه الله – :

" حَدِيثُ الْفِتُونِ

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، أَنْبَأَنَا أَصْبُغُ بْنُ زَيْدٍ، حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ أَبِي أَيُّوبَ، أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، قَالَ: سَأَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ، عز وجل، لِمُوسَى، عليه السلام: {وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا} [طه: ٤٠] فَسَأَلْتُهُ عَنِ الْفُتُونِ مَا هُوَ؟ فَقَالَ: اسْتَأْنِفِ النَّهَارَ يَا بْنَ جُبَيْرٍ، فَإِنَّ لَهَا حَدِيثًا طَوِيلًا. فَلَمَّا أَصْبَحْتُ غَدَوْتُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ لِأَنْتَجِزَ مِنْهُ مَا وَعَدَنِي مِنْ حَدِيثِ الْفُتُونِ..."[٣].

---

(١) انظر : تفسير الطبري ٥٠٦/١ .

(٢) تفسير ابن كثير ١٦٧/٥ .

(٣) تفسير ابن كثير ٢٨٥/٥ .

وساق حديثًا طويلا من صـ٢٨٥ إلى صـ٢٩٣ في الجزء الخامس ثم قال :

"رَفَعَ ابْنُ عَبَّاسٍ هَذَا الْحَدِيثَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وصَدَّقَ ذَلِكَ عِنْدِي أَنَّ مُعَاوِيَةَ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ يُحَدِّثُ هَذَا الْحَدِيثَ، فَأَنْكَرَ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ الْفِرْعَوْنِيُّ الَّذِي أَفْشَى عَلَى مُوسَى أَمْرَ الْقَتِيلِ الَّذِي قَتَلَ، فَقَالَ: كَيْفَ يُفْشي عَلَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ عَلِمَ بِهِ وَلَا ظَهَرَ عَلَيْهِ إِلَّا الْإِسْرَائِيلِيُّ الَّذِي حَضَرَ ذَلِكَ؟. فَغَضِبَ ابْنُ عَبَّاسٍ، فَأَخَذَ بِيَدِ مُعَاوِيَةَ فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ الزُّهْرِيِّ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ، هَلْ تَذْكُرُ يَوْمَ حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَتِيلِ مُوسَى الَّذِي قَتَلَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ؟ الْإِسْرَائِيلِيُّ الَّذِي أَفْشَى عَلَيْهِ أَمِ الْفِرْعَوْنِيُّ؟ قَالَ: إِنَّمَا أَفْشَى عَلَيْهِ الْفِرْعَوْنِيُّ، بِمَا سَمِعَ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيِّ الَّذِي شَهِدَ عَلَى ذَلِكَ وَحَضَرَهُ.

هَكَذَا رَوَاهُ الْإِمَامُ النَّسَائِيُّ فِي السُّنَنِ الْكُبْرَى[١]، وَأَخْرَجَهُ أَبُو جَعْفَرِ بْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرَيْهِمَا[٢] كُلُّهُمْ مِنْ حَدِيثِ يَزِيدَ بْنِ هَارُونَ بِهِ وَهُوَ مَوْقُوفٌ مِنْ كَلَامِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَلَيْسَ فِيهِ مَرْفُوعٌ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُ، وَكَأَنَّهُ تَلَقَّاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، ﷺ مِمَّا أُبِيحَ نَقْلُهُ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ عَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ أَوْ غَيْرِهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَسَمِعْتُ شَيْخَنَا الْحَافِظَ أَبَا الْحَجَّاجِ الْمِزِّيَّ يَقُولُ ذَلِكَ أَيْضًا"[٣].

---

[١] السنن الكبرى للنسائي ١٠/١٧٢ برقم (١١٢٦٣) .

[٢] انظر : تفسير الطبري ٨/٣٠٦ ، ولم أقف عليه في تفسير ابن أبي حاتم .

[٣] تفسير ابن كثير ٥/٢٩٣ .

التعليق :

هذا الحديث الطويل موقوف من كلام ابن عباس – ﷺ – كما بيّن ذلك ابن كثير ، ولأن عامته كلام عن التاريخ القديم الذي لم يحضره الصحابة ، استنتج ابن كثير أنه تلقاه من أهل الكتاب ، وهو مما أبيح نقله لينظر فيه ، وليس عندنا من نستطيع به تصديقه أو تكذيبه ، وهي تفاصيل وأحداث تاريخية يعتني بها أهل التاريخ ويتناقلونها ، ولا نصدق منها إلا ما جاء به القرآن أو السنة الصحيحة .

<u>الموضع السادس</u> : قوله تعالى [فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١)] الشعراء

قال ابن كثير – ﷺ – :

"ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ: أَنَّ فِرْعَوْنَ خَرَجَ فِي جَحْفَلٍ عَظِيمٍ وَجَمْعٍ كَبِيرٍ ، وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ مَمْلَكَةِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ فِي زَمَانِهِ، أُولِي الْحَلِّ وَالْعَقْدِ وَالدُّوَلِ، مِنَ الْأُمَرَاءِ وَالْوُزَرَاءِ وَالْكُبَرَاءِ وَالرُّؤَسَاءِ وَالْجُنُودِ، فأَمَّا مَا ذَكَرَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ، مِنْ أَنَّهُ خَرَجَ فِي أَلْفِ أَلْفٍ وَسِتِّمِائَةِ أَلْفِ فَارِسٍ، مِنْهَا مِائَةُ أَلْفٍ عَلَى خَيْلٍ دُهْم، وَقَالَ كَعْبُ الْأَحْبَارِ: فِيهِمْ ثَمَانِمِائَةِ أَلْفِ حِصَانٍ أَدْهَمَ، فَفِي ذَلِكَ

نَظَرٌ. وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ مِنْ مُجَازَفَاتِ[١] بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَاللَّهُ ﷻ، أَعْلَمُ. وَالَّذِي أَخْبَرَ بِهِ هُوَ النَّافِعُ، وَلَمْ يُعَيِّنْ عِدَّتَهُمْ؛ إِذْ لَا فَائِدَةَ تَحْتَهُ، إِلَّا أَنَّهُمْ خَرَجُوا بِأَجْمَعِهِمْ"[٢].

التعليق :

الاختلاف في عدة الجمع الذي خرج فيه فرعون للقضاء على موسى – عليه السلام – ومَن معه مِن المؤمنين لا فائدة تحته كما قال ابن كثير – رحمه الله – والخوض في تفاصيل ذلك يدل على أنه مما تلقاه الناس عن بني إسرائيل ، ويكفينا القدر الذي صرّح به القرآن الكريم أن أصحاب موسى لما رأوا هذه الحشد العظيم قالوا : إنا لمدركون .

<u>الموضع السابع</u> : قوله تعالى [فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (٣٦)] النمل

قال ابن كثير – رحمه الله – :

"قَالَ مُجَاهِدٌ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَغَيْرُهُمَا: وَأَرْسَلَتْ جِوَارِيَ فِي زِي الغلمان، وغلمان فِي زِيِّ الْجَوَارِي، وَقَالَتْ: إِنْ عَرَفَ هَؤُلَاءِ مِنْ هَؤُلَاءِ فَهُوَ نَبِيٌّ. قَالُوا:

---

[١] (جازف) بَاعَ الشَّيْء لَا يعلم كَيْله أَو وَزنه وبنفسه خاطر بهَا وَفِي كَلَامه أرْسلهُ إِرْسَالًا على غير روية [المعجم الوسيط صـ١٢١ (جزف)] .

[٢] تفسير ابن كثير ١٤٣/٦ .

فَأَمَرَهُمْ سُلَيْمَانُ عليه السلام، أن يتوضؤوا، فَجَعَلَتِ الْجَارِيَةُ تُفرغ عَلَى يَدِهَا مِنَ الْمَاءِ، وَجَعَلَ الْغُلَامُ يَغْتَرِفُ، فَمَيَّزَهُمْ بِذَلِكَ ، وَقِيلَ: بَلْ جَعَلَتِ الْجَارِيَةُ تَغْسِلُ بَاطِنَ يَدِهَا قَبْلَ ظَاهِرِهَا، وَالْغُلَامُ بِالْعَكْسِ، وَقِيلَ: بَلْ جَعَلَتِ الْجَوَارِي يَغْتَسِلْنَ مِنْ أَكُفِّهِنَّ إِلَى مُرَافِقِهِنَّ، وَالْغِلْمَانُ مِنْ مَرَافِقِهِمْ إِلَى أَكُفِّهِمْ. وَلَا مُنَافَاةَ بَيْنَ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ: أَنَّهَا أَرْسَلَتْ إِلَيْهِ بِقَدَحٍ لِيَمْلَأَهُ مَاءً رِوَاءً، لَا مِنَ السَّمَاءِ وَلَا مِنَ الْأَرْضِ، فَأَجْرَى الْخَيْلَ حَتَّى عَرِقَتْ، ثُمَّ مَلَأَهُ مِنْ ذَلِكَ، وَبِخَرَزَةٍ وَسِلْكٍ لِيَجْعَلَهُ فِيهَا، فَفَعَلَ ذَلِكَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَكَانَ ذَلِكَ أَمْ لَا وَأَكْثَرُهُ مَأْخُوذٌ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ. وَالظَّاهِرُ أَنَّ سُلَيْمَانَ –عليه السلام– لَمْ يَنْظُرْ إِلَى ما جَاءُوا بِهِ بِالْكُلِّيَّةِ، وَلَا اعْتَنَى بِهِ، بَلْ أعرض عنه، وقال منكرًا عليهم: {أَتُمِدُّونَنِي بِمَالٍ}"[1].

التعليق :

خاض المفسرون في تفاصيل الهدية التي أرسلتها ملكة سبأ إلى سليمان – عليه السلام – لتبلوه بها ، وهذا البيان لما أجمله القرآن بلا سند صحيح لا يُقبل ، ولهذا توقف ابن كثير – رحمه الله – في هذه الآثار ، وفوض العلم فيها لله .

[1] تفسير ابن كثير ٦/١٩٠ .

الموضع الثامن : قوله تعالى [يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦)] لقمان

قال ابن كثير – رحمه الله – :

"وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: {فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ} [لقمان: ١٦] أَنَّهَا صَخْرَةٌ تَحْتَ الْأَرْضِينَ السَّبْعِ، ذَكَرَهُ السُّدِّي بِإِسْنَادِهِ ذَلِكَ الْمَطْرُوقِ[١] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَجَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ إِنْ صَحَّ ذَلِكَ، وَيُرْوَى هَذَا عَنْ عَطِيَّةَ الْعَوْفِيِّ، وَأَبِي مَالِكٍ، وَالثَّوْرِيِّ، والمِنهال بْنِ عَمْرٍو، وَغَيْرِهِمْ. وَهَذَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ، كَأَنَّهُ مُتَلَقًّى مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ الَّتِي لَا تُصَدَّقُ، وَلَا تَكْذَّبُ"[٢].

التعليق :

جاء التعبير القرآني بتنكير الصخرة ، ثم تأتي روايات لتحديد مكانها وأوصافها ، ولو تركنا ما تركه القرآن لكان أولى ، ولهذا صَدّر ابن كثير – رحمه الله – حكايته لهذا القول بأنه زعمٌ ، وختمه بأنه غالبا مأخوذ من الإسرايليات

---

[١] نبّه ابن كثير على ما في إسناد السدي فقال : "فَهَذَا الْإِسْنَادُ إِلَى هَؤُلَاءِ الصَّحَابَةِ مَشْهُورٌ فِي تَفْسِيرِ السُّدِّي وَيَقَعُ فِيهِ إِسْرَائِيلِيَّاتُ كَثِيرَةٌ ، فَلَعَلَّ بَعْضَهَا مُدْرَج لَيْسَ مِنْ كَلَامِ الصَّحَابَةِ، أَوْ أَنَّهُمْ أَخَذُوهُ مِنْ بَعْضِ الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ" [تفسير ابن كثير ٢٣٠/١] .

[٢] تفسير ابن كثير ٣٣٨/٦ .

التي لا تصدق ولا تكذب ، والتي نبَه في مواطن من تفسيره أنه لا فائدة تحتها ، وفي القرآن والسنة غناء عنها.

المبحث السابع

إسرائيليات أشار إليها ابن كثير إجمالا ولم يُسَوّد بها تفسيره

وهي مواطن نكتفي بذكرها وإبراز ما قاله ابن كثير عنها بوضع خط تحت تعليقه .

الموضع الأول : [فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٣٦)] البقرة

قال ابن كثير – رحمه الله – :

" {وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ} [البقرة: ٣٦] أَيْ: قَرَارٌ وَأَرْزَاقٌ وَآجَالٌ {إِلَى حِينٍ} أَيْ: إِلَى وَقْتٍ مُؤَقَّتٍ وَمِقْدَارٍ مُعَيَّنٍ، ثُمَّ تَقُومُ الْقِيَامَةُ.

وَقَدْ ذَكَرَ الْمُفَسِّرُونَ مِنَ السَّلَفِ كالسُّدِّي بِأَسَانِيدِهِ، وَأَبِي الْعَالِيَةِ، وَوَهْبِ بْنِ مُنَبِّه وَغَيْرِهِمْ، هَاهُنَا أَخْبَارًا إِسْرَائِيلِيَّةً عَنْ قِصَّةِ الحَيَّة، وَإِبْلِيسَ، وَكَيْفَ جَرَى مِنْ دُخُولِ إِبْلِيسَ إِلَى الْجَنَّةِ وَوَسْوَسَتِهِ، وَسَنَبْسُطُ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ، فَهُنَاكَ الْقِصَّةُ أَبْسَطُ مِنْهَا هَاهُنَا، وَاللَّهُ الْمُوَفِّقُ.

وَقَدْ وَرَدَتْ فِي هَذَا آثَارٌ كَثِيرَةٌ إِسْرَائِيلِيَّةٌ لَمْ أَرَ تَطْوِيلَ الْكِتَابِ بِذِكْرِهَا؛ لِأَنَّ مِنْهَا مَا هُوَ مَوْضُوعٌ، مِنْ وَضْعِ بَعْضِ زَنَادِقَتِهِمْ، وَمِنْهَا مَا قَدْ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ صَحِيحًا، وَنَحْنُ فِي غُنْيَة عَنْهَا، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ. وَفِيمَا قَصَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْنَا فِي كِتَابِهِ غُنْيَةٌ عَمَّا سِوَاهُ مِنْ بَقِيَّةِ الْكُتُبِ قَبْلَهُ، وَلَمْ يُحْوِجْنَا اللَّهُ وَلَا رَسُولُهُ إِلَيْهِمْ"[1].

الموضع الثاني : قوله تعالى [قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٢٤)] الأعراف

قال ابن كثير – رحمه الله – :

"قِيلَ: الْمُرَادُ بِالْخِطَابِ فِي {اهْبِطُوا } [الأعراف: ٢٤] آدَمُ وَحَوَّاءُ وَإِبْلِيسُ وَالْحَيَّةُ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَذْكُرِ الْحَيَّةَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَالْعُمْدَةُ فِي الْعَدَاوَةِ آدَمُ وَإِبْلِيسُ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ "طه" قَالَ: {اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا} [الْآيَةَ: ١٢٣] وَحَوَّاءُ تَبَعٌ لِآدَمَ. وَالْحَيَّةُ – إِنْ كَانَ ذِكْرُهَا صَحِيحًا – فَهِيَ تَبَعٌ لِإِبْلِيسَ.

[1] تفسير ابن كثير ١/٢٣٦ .

وَقَدْ ذَكَرَ الْمُفَسِّرُونَ الْأَمَاكِنَ الَّتِي هَبَطَ فِيهَا كُلٌّ مِنْهُمْ، وَيَرْجِعُ حَاصِلُ تِلْكَ الْأَخْبَارِ إِلَى الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِصِحَّتِهَا، وَلَوْ كَانَ فِي تَعْيِينِ تِلْكَ الْبِقَاعِ فَائِدَةٌ تَعُودُ عَلَى الْمُكَلَّفِينَ فِي أَمْرِ دِينِهِمْ، أَوْ دُنْيَاهُمْ لَذَكَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ أَوْ رَسُولُهُ ﷺ"(١).

الموضع الثالث : قوله تعالى [وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (٥١)] الأنبياء

قال ابن كثير – رحمه الله – :

" يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ، عليه السلام، أَنَّهُ آتَاهُ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ، أَيْ: مِنْ صِغَرِهِ أَلْهَمَهُ الْحَقَّ وَالْحُجَّةَ عَلَى قَوْمِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ} [الْأَنْعَامِ:٨٣] ، وَمَا يُذْكَرُ مِنَ الْأَخْبَارِ عَنْهُ فِي إِدْخَالِ أَبِيهِ لَهُ فِي السِّرْبِ، وَهُوَ رَضِيعٌ، وَأَنَّهُ خَرَجَ بِهِ بَعْدَ أَيَّامٍ، فَنَظَرَ إِلَى الْكَوْكَبِ وَالْمَخْلُوقَاتِ، فَتَبَصَّرَ فِيهَا .

وَمَا قَصَّهُ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ وَغَيْرِهِمْ فَعَامَّتُهَا أَحَادِيثُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَمَا وَافَقَ مِنْهَا الْحَقَّ مِمَّا بِأَيْدِينَا عَنِ الْمَعْصُومِ قَبِلْنَاهُ لِمُوَافَقَتِهِ الصَّحِيحَ، وَمَا خَالَفَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ رَدَدْنَاهُ، وَمَا لَيْسَ فِيهِ مُوَافَقَةٌ وَلَا مُخَالَفَةٌ لَا نصدقه ولا نكذبه، بل

(١) تفسير ابن كثير ٣/٣٩٩ .

نجعله وفقًا، وَمَا كَانَ مِنْ هَذَا الضَّرْبِ مِنْهَا فَقَدْ تَرَخَّصَ كَثِيرٌ مِنَ السَّلَفِ فِي رِوَايَتِهَا، وَكَثِيرٌ مِنْ ذَلِكَ مَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ، وَلَا حاصل له مِمَّا يُنْتَفَعُ بِهِ فِي الدِّينِ. وَلَوْ كَانَتْ فِيهِ فَائِدَةٌ تَعُودُ عَلَى الْمُكَلَّفِينَ فِي دِينِهِمْ لَبَيَّنَتْهُ هَذِهِ الشَّرِيعَةُ الْكَامِلَةُ الشَّامِلَةُ. وَالَّذِي نَسْلُكُهُ فِي هَذَا التَّفْسِيرِ الْإِعْرَاضُ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْإِسْرَائِيلِيَّةِ، لِمَا فِيهَا مِنْ تَضْيِيعِ الزَّمَانِ، وَلِمَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ كَثِيرٌ مِنْهَا مِنَ الْكَذِبِ الْمُرَوَّجِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّهُمْ لَا تَفْرِقَةَ عِنْدَهُمْ بَيْنَ صَحِيحِهَا وَسَقِيمِهَا كَمَا حَرَّرَهُ الْأَئِمَّةُ الْحُفَّاظُ الْمُتْقِنُونَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

وَالْمَقْصُودُ هَاهُنَا: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخْبَرَ أَنَّهُ قَدْ آتَى إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ، مِنْ قَبْلُ، أَيْ: مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ، وَقَوْلُهُ: {وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ} أَيْ: وَكَانَ أَهْلًا لِذَلِكَ"[1].

<u>الموضع الرابع</u> : قوله تعالى [فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩)] القصص

قال ابن كثير – رحمه الله – :

"وَقِيلَ: إِنَّ قَارُونَ لَمَّا خَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ تِلْكَ، وَهُوَ رَاكِبٌ عَلَى الْبِغَالِ الشُّهْبِ، وَعَلَيْهِ وَعَلَى خَدَمِهِ الثِّيَابُ الْأُرْجُوَانُ الصِّبْغَةِ ، فَمَرَّ فِي جَحْفَله ذَلِكَ

[1] تفسير ابن كثير ٥/٣٤٧و٣٤٨ .

عَلَى مَجْلِسِ نَبِيِّ اللَّهِ مُوسَى ﷺ، وَهُوَ يُذَكِّرُهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ. فَلَمَّا رَأَى النَّاسُ قَارُونَ انْصَرَفَتْ وُجُوهُ النَّاسِ حَوْلَهُ، يَنْظُرُونَ إِلَى مَا هُوَ فِيهِ. فَدَعَاهُ مُوسَى ﷺ، وَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ فَقَالَ: يَا مُوسَى، أَمَا لَئِنْ كُنْتَ فُضِّلتَ عَلَيَّ بِالنُّبُوَّةِ، فَلَقَدْ فُضِّلْتُ عَلَيْكَ بِالدُّنْيَا، وَلَئِنْ شِئْتَ لَتَخْرُجَنَّ، فَلْتَدْعُوَنَّ عَلَيَّ وَأَدْعُو عَلَيْكَ. فَخَرَجَ وَخَرَجَ قَارُونُ فِي قَوْمِهِ، فَقَالَ مُوسَى: تَدْعُو أَوْ أَدْعُو أَنَا؟ قَالَ: بَلْ أَنَا أَدْعُو. فَدَعَا قَارُونُ فَلَمْ يُجَبْ لَهُ، ثُمَّ قَالَ مُوسَى : أَدْعُو؟ قَالَ: نَعَمْ. فَقَالَ مُوسَى: اللَّهُمَّ، مُر الْأَرْضَ أَنْ تُطِيعَنِي الْيَوْمَ. فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنِّي قَدْ فَعَلْتُ، فَقَالَ مُوسَى: يَا أَرْضُ، خُذِيهِمْ. فَأَخَذَتْهُمْ إِلَى أَقْدَامِهِمْ. ثُمَّ قَالَ: خُذِيهِمْ. فَأَخَذَتْهُمْ إِلَى رُكَبِهِمْ، ثُمَّ إِلَى مَنَاكِبِهِمْ. ثُمَّ قَالَ: أَقْبِلِي بِكُنُوزِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ. قَالَ: فَأَقْبَلَتْ بِهَا حَتَّى نَظَرُوا إِلَيْهَا. ثُمَّ أَشَارَ مُوسَى بِيَدِهِ فَقَالَ: اذْهَبُوا بَنِي لَاوَى فَاسْتَوَتْ بِهِمُ الْأَرْضُ. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: خُسف بِهِمْ إِلَى الْأَرْضِ السَّابِعَةِ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ يُخْسَفُ بِهِمْ كُلَّ يَوْمٍ قَامَةٌ، فَهُمْ يَتَجَلْجَلُونَ فِيهَا إِلَى يَوْمِ القيامة.

وقد ذُكر هاهنا إِسْرَائِيلِيَّاتٌ غَرِيبَةٌ أَضْرَبْنَا عَنْهَا صَفْحًا"[1].

[1] تفسير ابن كثير ٢٥٧/٦.

الموضع الخامس : قوله تعالى [وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (٢١)] ص

قال ابن كثير – رحمه الله – :

"قَدْ ذَكَرَ الْمُفَسِّرُونَ هَاهُنَا قِصَّةً أَكْثَرُهَا مَأْخُوذٌ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ وَلَمْ يَثْبُتْ فِيهَا عَنِ الْمَعْصُومِ حَدِيثٌ يَجِبُ اتِّبَاعُهُ ، وَلَكِنْ رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ هُنَا حَدِيثًا لَا يَصِحُّ سَنَدُهُ؛ لِأَنَّهُ مِنْ رِوَايَةِ يَزِيدَ الرَّقَاشِيِّ عَنْ أَنَسٍ –وَيَزِيدُ وَإِنْ كَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ–لَكِنَّهُ ضَعِيفُ الْحَدِيثِ عِنْدَ الْأَئِمَّةِ فَالْأُولَى أَنْ يُقْتَصَرَ عَلَى مُجَرَّدِ تِلَاوَةِ هَذِهِ الْقِصَّةِ وَأَنْ يُرَدَّ عِلْمُهَا إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ فَإِنَّ الْقُرْآنَ حَقٌّ وَمَا تَضَمَّنَ فَهُوَ حَقٌّ أَيْضًا"(١).

(١) تفسير ابن كثير ٦٠/٧ .

خاتمة

= جهود ابن كثير – رحمه الله – التي تناولها البحث هي أحد مميزات تفسيره الذي كتب الله له القبول ، وهي جهود لا نبالغ إذا قلنا إنها غير مسبوقة في غالب مواضعها ، وهذا ما أكّده أحد رواد علم الإسرائيليات في العصر الحاضر وهو الدكتور أبو شهبة حيث قال عن تفسير ابن كثير:

" ومن خصائص هذا التفسير العظيم : أنه يعتبر نسيج وحده في التنبيه على الإسرائيليات والموضوعات في التفسير، وتارة يذكرها ويعقب عليها بأنها دخيلة على الرواية الإسلامية، ويبين أنها من الإسرائيليات الباطلة المكذوبة، وتارة لا يذكرها بل يشير إليها ويبين رأيه فيها، وقد تأثر في هذا بشيخه الإمام ابن تيمية ، وزاد على ما ذكره كثيراً، وكل مَن جاء بعد ابن كثير من المفسرين ممن تنبه إلى الإسرائيليات والموضوعات وحذّر منها هم عالة عليه في هذا ومدينون له بهذا الفضل ... ولهذا الكتاب فضل كبير عليّ في تنبيهي إلى الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير وهو معتمدي ومرجعي الأول في هذا الباب"[1].

= هذا البحث هدفه تجلية جهود الحافظ ابن كثير – رحمه الله – في القسمين الثاني والثالث من أقسام الإسرائيليات مما يجب تكذيبه وردّه أو التوقف فيه بلا تصديق ولا تكذيب ، أما القسم الأول من أقسام الإسرائيليات وهي الإسرائيليات الصحيحة المقبولة المؤيدة بالكتاب أو السنة فهي جزء من التفسير الصحيح

[1] الإسرايليات والموضوعات في كتب التفسير لأبي شهبة صـ١٢٩ بتصرف يسير .

لآيات القرآن الكريم ، ولذا لم يتناولها البحث لخروجها عن هدفه المنشود ، وكذا لم يتناول البحث الروايات التي تُعدُّ من الدخيل والموضوع في التفسير وتوجّه نقد ابن كثير لها إلى السند ورجاله ، فلابن كثير في هذا الباب جهود كثيرة ينبغي أن تفرد ببحث مستقل يقوم به أحد الزملاء المختصين في علوم الحديث .

= أعداء الإسلام في القديم والحديث لا يريدون لهذا الدين أن يستمر نقيًا كما أُنزل، ولا يُريدون لأمته أن تقود أو تسود ، ولهذا ينبغي أن تتواصل الجهود لتنقية منابع الإسلام ومصادره من كَدرٍ شابها على أيدي عدوٍ متربص أو متبعٍ جاهل ، وهذه رسالة عظمى لا ينهض بها إلا الأخيار من صالحي علماء الأمة ، نسأل الله أن يحشرنا في زمرتهم وإن لم نعمل بمثل أعمالهم .

قائمة المراجع

- يلاحظ عدم التعريف بكتب الحديث والتخريج لشهرتها واكتفاء بذكر رقم الحديث المغني عن معرفة الطبعة ، وكذا لم نذكر معاجم اللغة لشهرتها واكتفاء بذكر مادة الكلمة المغنية عن الطبعة .

١. أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار – محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني المكي المعروف بالأزرقي (المتوفى: ٢٥٠هـ) – المحقق: رشدي الصالح ملحس – ط دار الأندلس للنشر بيروت .

٢. الاستيعاب في معرفة الأصحاب – أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر (المتوفى: ٤٦٣هـ)– المحقق: علي محمد البجاوي – ط دار الجيل بيروت – الأولى/ ١٤١٢ هـ.

٣. أسد الغابة – أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني الجزري عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ) – ط دار الفكر بيروت / ١٤٠٩هـ .

٤. الإسرائيليات في التفسير والحديث– د. محمد حسين الذهبي – ط مكتبة وهبة .

٥. الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير – محمد بن محمد أبو شُهبة – ط مكتبة السنة – الرابعة.

٦. أصول في التفسير– محمد بن صالح العثيمين – ط المكتبة الإسلامية – الأولى ٢٠٠١م .

٧. الأعلام – خير الدين الزركلي – ط دار العلم للملايين – الخامسة عشر ٢٠٠٢ م .

٨. البداية والنهاية – أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (المتوفى: ٧٧٤هـ) – تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي – ط دار هجر – الأولى، ١٤١٨ هـ.

٩. تعليق مختصر على كتاب لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد – محمد بن صالح بن محمد العثيمين – المحقق: أشرف بن عبد المقصود بن عبد الرحيم – ط مكتبة أضواء السلف – الثالثة ١٤١٥هـ.

١٠. تفسير ابن أبي حاتم – تحقيق: أسعد محمد الطيب – ط مكتبة نزار مصطفى الباز – الثالثة ١٤١٩ هـ .

١١. تفسير ابن أبي حاتم – تحقيق: أسعد محمد الطيب – ط مكتبة نزار مصطفى الباز – الثالثة ١٤١٩ هـ .

١٢. تفسير الطبري – تحقيق : أحمد محمد شاكر – ط مؤسسة الرسالة – الأولى ٢٠٠٠ م .

١٣. تفسير القرآن العظيم – تحقيق : سامي بن محمد سلامة– ط دار طيبة للنشر والتوزيع – الثانية ١٤٢٠هـ .

١٤. تفسير عبد الرزاق – أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ) – دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده – ط دار الكتب العلمية – الأولى ١٤١٩هـ .

١٥. التفسير والمفسرون– الدكتور محمد حسين الذهبي – ط مكتبة وهبة بالقاهرة .

١٦. تهذيب التهذيب ٤٣٨/٨وما بعدها – أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) – ط مطبعة دائرة المعارف النظامية الهند / الأولى ١٣٢٦هـ .

١٧. حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي – المؤلف: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (المتوفى: ه١٠٦٩) – ط دار صادر بيروت.
١٨. الدر المنثور في التفسير بالمأثور – جلال الدين السيوطي – ط دار الفكر .
١٩. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة – أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني – ط مجلس دائرة المعارف العثمانية الهند – الثانية ١٩٧٢م .
٢٠. ذيل تذكرة الحفاظ – أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن بن حمزة الحسيني– ط دار الكتب العلملية – الأولى ١٩٩٨م .
٢١. روح البيان– إسماعيل حقي – ط دار الفكر – بيروت.
٢٢. زاد المسير في علم التفسير – جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ه٥٩٧) – المحقق: عبد الرزاق المهدي – ط دار الكتاب العربي بيروت – الأولى / ١٤٢٢ هـ .
٢٣. سير أعلام النبلاء – شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (المتوفى : ه٧٤٨) – المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط – ط مؤسسة الرسالة– الثالثة / ١٤٠٥ هـ .
٢٤. الصحيح المسبور في التفسير بالمأثور – حكمت بن بشير بن ياسين – ط دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة/ المدينة النبوية – الأولى ١٤٢٠هـ.
٢٥. طبقات الحفاظ – عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ه٩١١) – ط دار الكتب العلمية / بيروت – الأولى، ١٤٠٣.

٢٦. الطبقات الكبرى – أبو عبد الله محمد بن سعد البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ه٢٣٠) – تحقيق: محمد عبد القادر عطا – ط دار الكتب العلمية بيروت / الأولى ١٤١٠ ه .
٢٧. فتح الباري – أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي – ط دار المعرفة بيروت/ ه١٣٧٩ .
٢٨. فتح القدير – محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ه١٢٥٠) – ط دار ابن كثير دمشق – الأولىه١٤١٤ .
٢٩. الكشف والبيان عن تفسير القرآن – أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (المتوفى: ه٤٢٧) – تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور – ط دار إحياء التراث العربي، بيروت / الأولى ١٤٢٢ ه.
٣٠. مباحث في علوم القرآن – مناع بن خليل القطان – ط مكتبة المعارف – الثالثة ٢٠٠٠م .
٣١. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز – أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية – تحقيق : عبد السلام عبد الشافي – ط دار الكتب العلمية – الأولى / ه١٤٢٢ .
٣٢. المغني للإمام المتولي – عبد الرحمن بن مأمون النيسابوري (المتوفى: ه٤٧٨) – تحقيق وتقديم: مارى برنان : الناشر: المعهد الفرنسى للآثار الشرقيه، ١٩٨٦ – القاهرة (ملحق حوليات إسلامية العدد رقم ٧) .
٣٣. مفاتيح الغيب – أبو عبد الله محمد بن عمر الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ه٦٠٦) – ط دار إحياء التراث العربي بيروت – الثالثة / ١٤٢٠ ه .

٣٤. مفردات القرآن – أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: ه٢٠٧) – المحقق: أحمد يوسف النجاتي وآخرون – ط دار المصرية للتأليف والترجمة / الأولى.

٣٥. مقدمة في أصول التفسير – تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية – ط دار مكتبة الحياة/ بيروت – ١٩٨٠م .

٣٦. المواقف – عضد الدين الإيجي (المتوفى: ه٧٥٦) – المحقق: عبد الرحمن عميرة – ط دار الجيل بيروت – الأولى ه١٤١٧.

٣٧. الهداية إلى بلوغ النهاية– مكي بن أبي طالب – ط جامعة الشارقة – الأولى ٢٠٠٨م .

الفهرس

مقدمة
المبحث الأول : ترجمة موجزة لابن كثير
مولده ونشأته
شيوخه
تلاميذه
مؤلفاته
وفاته
المبحث الثاني : تعريف الإسرائيليات
تعريف الإسرائيليات
أقسام الإسرئيليات مع أمثلة عليها
المبحث الثالث : تقسيم ابن كثير للإسرائيليات
المبحث الرابع : إسرائيليات ذكرها ابن كثير في تفسيره ورَدّ عليها بالمنقول والمعقول
الموضع الأول : سورة الكهف – الآية ٨٤
الموضع الثاني : سورة طه – الآية ١٨
الموضع الثالث : سورة الشعراء – الآية ١٣٩
الموضع الرابع : سورة فاطر – الآية ٤١
الموضع الخامس : سورة الحديد – الآية ١٣
المبحث الخامس : إسرائيليات ذكرها ابن كثير في تفسيره ونبَّه على نكارتها وغرابتها
الموضع الأول : سورة الفاتحة – الآية١
الموضع الثاني : سورة البقرة – الآية ٣٠
الموضع الثالث : سورة البقرة – الآية ١٠٢
الموضع الرابع : سورة الأعراف – الآية ١٤٣
الموضع الخامس : سورة الحجر – الآية ٣٢
الموضع السادس : سورة الكهف – الآية ٨٣

الموضع السابع : سورة مريم – الآية ١٧

الموضع الثامن : سورة مريم – الآية ٥٧

الموضع التاسع : سورة النمل – الآية ٤٤

الموضع العاشر : سورة ص – الآية ٣٤

الموضع الحادي عشر : سورة النبأ – الآية ٣٧

المبحث السادس : إسرائيليات ذكرها ابن كثير في تفسيره وتوقّف في تصديقها أو تكذيبها

الموضع الأول : سورة النساء – آية ١٦٤

الموضع الثاني : سورة هود – آية ٤٢

الموضع الثالث : سورة يوسف – آية ٥٨

الموضع الرابع : سورة الكهف – آية ٥٠

الموضع الخامس : سورة طه – آية ٤٠

الموضع السادس : سورة الشعراء – آية ٦١

الموضع السابع : سورة النمل – آية ٣٦

الموضع الثامن : سورة لقمان – آية ١٦

المبحث السابع : إسرائيليات أشار إليها ابن كثير إجمالا ولم يُسَوّد بها تفسيره

الموضع الأول : سورة البقرة – آية ٣٦

الموضع الثاني : سورة الأعراف – آية ٢٤

الموضع الثالث : سورة الأنبياء – آية ٥١

الموضع الرابع : سورة القصص – آية ٧٩

الموضع الخامس : سورة ص – آية ٢١

خاتمة

قائمة المراجع